

January 2014

The Role of Al-Quds Open University in Promoting Sustainable Development in Palestine

Khalid Abd Aljalil Dweikat

Al-Quds Open University/Palestine, kdweikat@qou.edu

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jropenres>

Recommended Citation

Dweikat, Khalid Abd Aljalil (2014) "The Role of Al-Quds Open University in Promoting Sustainable Development in Palestine," *Palestinian Journal for Open Learning & e-Learning*: Vol. 4 : No. 8 , Article 5. Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/jropenres/vol4/iss8/5>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in Palestinian Journal for Open Learning & e-Learning by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.



دور جامعة القدس المفتوحة كمحرك رئيس للتنمية المستدامة في فلسطين*

**
د. خالد عبد الجليل دويكات



* تاريخ التسليم: ٢٠ / ١١ / ٢٠١١ م . تاريخ القبول: ١٥ / ٩ / ٢٠١٢ م.
** أستاذ مساعد في مناهج وأساليب تدريس اللغة الإنجليزية/ فرع نابلس/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

هدفت هذه الورقة إلى نقاش دور جامعة القدس المفتوحة في تحقيق التنمية المستدامة في فلسطين من خلال استخدام أسلوب تحليل المحتوى. ولتحقيق هذا الهدف حلّل الباحث ما نُشره على "البوابة الأكاديمية" لجامعة القدس المفتوحة من أخبار وأنشطة وإعلانات في الفترة ما بين 2009-2012 تحت الزوايا التالية: قصص صحفية، وتقارير صحفية، وحصاد الجامعة وأخيراً الأخبار والإعلانات على الصفحة الرئيسية. بعد ذلك ربط الباحث بين هذه الأنشطة والفعاليات وأهداف الجامعة لاستنباط علاقة ذلك كله بأسس التنمية المستدامة. ولتحقيق هذا الهدف عمد الباحث في البداية إلى التطرق لبعض المفاهيم المرتبطة بموضوع هذه الورقة، مثل مفهوم التعليم المفتوح ومفهوم التنمية المستدامة والتنمية البشرية. كما تطرق الباحث إلى الخلفية التي نشأت بها الجامعة كنموذج حي للتعليم المفتوح في فلسطين، وكامتداد للتعليم العالي الفلسطيني وفلسفته التربوية.

Abstract:

This paper aims at discussing the role of Al-Quds Open University in promoting sustainable development in Palestine by means of using the content analysis methodology. To achieve this objective, the researcher analyzed the content of the published materials on the academic portal of Al-Quds Open University between 2009-2012 under the following sections: latest news and activities, announcements, pioneering stories and reports, and the latest achievements and outcomes. Later, the researcher sought to discuss the relationship between these activities and contributions on one side and the university objectives on the other side in order to investigate their expected relationship with the basics of sustainable development. To achieve this objective, the researcher started this paper by defining and discussing some related terms and concepts including the definition of open education, human development and sustainable development. Furthermore, the researcher talked about the historical background of Al-Quds Open University and its early emergence as a living model of the open education and a good representative of the Palestinian higher education and its educational philosophy.

مقدمة:

يكثُر الحديث في أيامنا هذه عن أهمية تحقيق التنمية الشاملة المستدامة في المجتمعات الحديثة، ودور التربية في إحداث هذه التنمية وتحريك عجلتها، في وقت تصف بالأمم المتقدمة وغير المتقدمة على حد سواء نكبات اقتصادية كارثية، كان آخرها ما سمي بالأزمة الاقتصادية العالمية عام 2008، فكان لا بد من الاهتمام بمفهوم التنمية المستدامة ودراسة مقوماتها، وفي مقدمتها الإنسان الذي يعد رافداً ومحركاً رئيساً للتنمية. وهنا يرى بعضهم أنه ما من سبيل لتمكين دور الإنسان في تحقيق التنمية دون التركيز على تمكينه تربوياً ومعرفياً، من خلال تقديم نوعية تعليم متميز وفاعل يهتم بتطوير الشخصية الإنسانية، ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بواقع المجتمع وأهدافه واحتياجاته المختلفة، حيث تبرز هنا تلك العلاقة القوية بين التربية بأشكالها ومسمياتها المختلفة من جهة والتنمية الشاملة من جهة أخرى، مما يستدعي البحث في جدلية العلاقة بين التربية والتنمية والدور الذي يمكن أن تؤديه النظم التربوية الحديثة في تحريك عجلة التنمية في فلسطين على وجه الخصوص، ويستدعي هذا إحداث تحولات جذرية مهمة في الأنماط التربوية والنظم التعليمية، وإعادة بنائها وصياغتها بما يمكنها من رفق مجتمعا الفلسطيني بطاقات متجددة متعلمة من خريجين وخريجات تعلموا وتربوا فأبدعوا وتميزوا في كل الميادين، بل حان دور مشاركتهم في مشروع التنمية المستدامة، بما تيسر لهم من طاقات ومعارف وخبرات تتيح لهم التعامل مع مستجدات هذا العصر.

كما تبرز تلك العلاقة القوية بين التربية والتعليم من جهة، وبين التقدم والتنمية من جهة أخرى، حين نجد كثيراً من المتخصصين في مجال التربية والاقتصاد قد تحدثوا باهتمام متزايد عن أهمية دور التربية في تطوير المجتمع وتنميته اقتصادياً وسياسياً وبشرياً، بل روحياً وعاطفياً، كي يكون الإنسان في هذا المجتمع قادراً على التكيف مع بيئته، واعياً لأهمية دوره في الإسهام في حل مشكلاته ومشكلات مجتمعه، بل حتى المساهمة في حل مشكلات العالم الذي هو جزء منه، وكذلك المشاركة الفعالة في بناء الحضارة الإنسانية والمساهمة في تطويرها. وللدلالة على عمق الرابطة وقوتها بين التربية والتنمية، يكفي أن نذكر أننا حين نبحث في التربية بمعناها الواسع، فإننا لا ننسى أن التربية في أوسع معانيها تعني تنمية الإنسان تنمية عقلية وجسدية وخلقية، تنمية توجه الفرد ليكون إنساناً كاملاً متكامل النمو، واضح الهوية والهدف، قادراً على المشاركة في مسيرة الإنتاج والعطاء لمجتمعه وإنسانيته على حد سواء، وهي تنمية - لا شك - تمتد مدى الحياة، ولا تقتصر على فترة عمرية محددة أو جيل بعينه، بل هي تربية مستمرة تبدأ منذ لحظة ولادة الفرد ولا تنتهي إلا بانتهاء حياته، وهي أيضاً تربية للجميع، تربية لا تخلو من معاني النمو والتطور المستمر مدى الحياة، فهي تعني تنمية الشخصية الإنسانية، ومدّها بالخبرات والمعارف

اللازمة للحياة ، والتكيف مع البيئة المحيطة، وهي كفيلة بتوجيه الإنسان الوجهة الصحيحة التي تحقق مصالحه ومصالح المجتمع والجماعة التي ينتمي إليها.

من هنا، وفي معرض الحديث عن دور التربية في تحقيق التنمية، يبرز دور جامعة القدس المفتوحة في تحقيق التنمية الشاملة المستدامة، كون هذه الجامعة تتبنى فكرة التعليم المفتوح الذي يعد في الوقت الحاضر أحد أسرع ميادين التدريب والتعليم نمواً في العالم ، حين عززت التطورات الجديدة في مجال تقنيات المعلومات والاتصالات إمكانات هذا النوع من التعليم لتقديم الخدمات التعليمية لفئات متعددة من الناس، لا سيما أولئك الذين لم يحالفهم الحظ في الالتحاق بالجامعات الرسمية والنظامية لسبب أو لآخر.

ومما يعزز دور جامعة القدس المفتوحة في الإسهام في تحريك التنمية الشاملة المستدامة أن هذا النمط من التعليم الجامعي يستند إلى فلسفة مرنة تركز على مبدأ أن الإنسان يتعلم مدى الحياة، مما يستدعي توفير أشكال عديدة من وسائل التعليم التي تتناسب مع عمر هذا الإنسان الفرد، ووضعه الاجتماعي ومهنته وموقع عمله ومكان سكنه، وحتى ظروفه النفسية والاقتصادية، يضاف إلى ذلك ما فحواه أن سمة هذا العصر الذي نعيش فيه التسارع والتحول من التعليم إلى التعلم، أي من الاعتماد الكلي على المعلم إلى الاعتماد على المتعلم وقدراته ومهاراته وأساليبه الخاصة في الدراسة والتحصيل.

من خلال هذه المقدمة يمكن الاستنتاج أن جامعة القدس المفتوحة تعد محركاً رئيساً بل مساهماً فاعلاً في تحقيق التنمية الفلسطينية الشاملة المستدامة ، الأمر الذي سيتم مناقشته في هذه الورقة.

أهداف الورقة:

تهدف الورقة بالدرجة الأولى إلى نقاش دور جامعة القدس المفتوحة في تحقيق التنمية المستدامة في فلسطين ، من خلال استخدام أسلوب تحليل المحتوى الذي سيرتكز على ما نشر على «البوابة الأكاديمية» لجامعة القدس المفتوحة من أخبار وأنشطة وإعلانات في السنوات الثلاث الماضية تحت الزوايا الآتية: قصص صحفية، تقارير صحفية، حصاد الجامعة وأخيراً الأخبار والإعلانات على الصفحة الرئيسية في الفترة ما بين 2012-2009، ثم سيعمد الباحث إلى الربط ما بين هذه الأنشطة والفعاليات وأهداف الجامعة وعلاقة ذلك كله بأسس التنمية المستدامة. ولتحقيق هذا الهدف يرى الباحث انه لا بد أولاً من التطرق لبعض المفاهيم المرتبطة بموضوع هذه الورقة، ومحاولة توضيحها مثل مفهوم التعليم المفتوح ومفهوم التنمية المستدامة والتنمية البشرية، كما سيتم الحديث عن الخلفية التي نشأت بها جامعة القدس المفتوحة، كنموذج حي للتعليم المفتوح في فلسطين، وكامتداد للتعليم العالي الفلسطيني وفلسفته التربوية.

جامعة القدس المفتوحة كجزء أصيل من التعليم العالي في فلسطين:

يمثل التعليم العالي الفلسطيني شكلاً من أشكال الصمود والتصدي والمحافظة على الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني وصدق انتمائه القومي وتراثه الحضاري والديني، فبالإضافة للأهمية المتعارف عليها للتعليم العالي من حيث كونه أداة لتنمية المعارف والمهارات لدى الطلبة وتشجيعه لروح البحث العلمي الهادف إلى رفد المجتمع بالكوادر والكفاءات المتخصصة القادرة على المشاركة الفاعلة في بناء مجتمع مؤسساتي متطور في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والصحية والثقافية والتكنولوجية، نجد أن التعليم الجامعي الفلسطيني قد أدى دوراً وطنياً بارزاً قبل قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، حين أسهمت الجامعات الفلسطينية في تثبيت أبناء فلسطين على أرضهم، وتوفير فرص التعليم العالي للراغبين منهم، حيث حمل التعليم العالي الفلسطيني أمانة المسؤولية في ظروف قاهرة عصبية، حاول فيها المحتل قهر الإرادة الفلسطينية من خلال تضيق الخناق على الجامعات الفلسطينية، وعلى طلبتها وأساتذتها، ظاناً بذلك أن بإمكانه فرض سياسة التجهيل والترحيل التي يخطط لها لإفراغ الأرض من أصحابها الشرعيين ولا سيما الشباب منهم، محاولاً بأساليبه الدنيئة إفراغ الشخصية الفلسطينية من محتواها المعرفي والثقافي، بل قتل الإبداع والابتكار فيها، واستخدم لذلك الأساليب العدوانية مثل اقتحام الجامعات وإغلاقها والاعتداء على حرمتها ومصادرة الكتب وملاحقة طلبتها وأساتذتها وسجنهم وقتلهم وإبعادهم.

في مثل هذه الظروف العصبية، وقبل أكثر من ثلاثة وعشرين سنة، نشأت «جامعة القدس المفتوحة»، فكان أن تشرفت هذه الجامعة بحمل أمانة الحفاظ على هوية القدس العربية الإسلامية، فحملت أسماها الأقدس ورفعته فوق المنابر والمحافل العلمية، وازدانت به فروع الجامعة التعليمية ومراكزها الدراسية وما فيها من كتب ومقررات وغيره، ونمت هذه المؤسسة الرائدة وترعرعت لتفتح أبوابها مشرعة لآلاف الفلسطينيين في جميع أماكن إقامتهم وتواجههم داخل فلسطين وخارجها، ولتحتضن ما يقارب (66) ألف دارس ودارسة يتوزعون في 22 فرعاً ومركزاً دراسياً بينما بلغ عدد خريجها لغاية الآن ما يوازي 42 ألف خريج وخريجة.

هذه الخلفية التي نشأت بها جامعة القدس المفتوحة، جعلت من الأهمية بمكان وجود فلسفة تعليمية جديدة ترتكز على قاعدة الاستجابة لمتطلبات خطط التنمية الوطنية الشاملة المستدامة، من خلال رفد المجتمع بالكوادر البشرية المؤهلة والمدرّبة التي نهلت من المعارف والعلوم استناداً إلى فلسفة واقعية تناسب روح العصر، تقوم على مبدأ الحق في التعليم وتحقيق ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية والمساواة بين الفلسطينيين دون تمييز فيما بينهم لأسباب تتعلق بمكانتهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو بسبب العرق أو الدين أو الجنس، وكذلك

العمل على توسيع قاعدة التعليم الجامعي من خلال زيادة فرص التعليم الجامعي للراغبين في الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي والاستجابة للطلب الاجتماعي المتزايد على هذا النوع من التعليم، حيث تمنح الفرصة لمن فاتهم الالتحاق بمؤسسات التعليم العالي لأسباب تتعلق بظروفهم العائلية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو الوظيفية أو المكانية أو الزمانية.

فلسفة جامعة القدس المفتوحة وأهدافها:

يعتبر التعليم الجامعي من أكثر المؤثرات التي تساهم في تنمية المجتمع وتطوره، بل يشكّل الاثنان مكوناً رئيساً من مكونات دليل التنمية البشرية، لأنه تقع على القطاع التعليمي رسالة إعداد الأجيال من القادة والمفكرين والمصلحين وعلماء المستقبل والباحثين الذين سيقودون دفة التغيير والإمساك بناصية العلم والتقدم نحو مشروع التنمية الشاملة المستدامة - إحدى لغات هذا العصر-. ومن هنا تؤدي الجامعات دوراً مهماً ريادياً في مشروع التنمية، لكونها حاضنة للمفكرين والباحثين وعلماء اليوم والغد، بل تعد رافداً رئيساً للكفاءات والكوادر المدربة التي يحتاجها المجتمع.

في هذا السياق، وحول دور الجامعات، تذكر نشرة «تعليم حر» التي يصدرها مركز رام الله لحقوق الإنسان أن المدير السابق لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة «فيدر يكو ساراغوسا» وضع أهدافاً للجامعة المطلوبة والمرتبقة ومنها:

1. تسعى لجعل كل ذي قدرة عقلية ضميراً أي التزاماً شخصياً إزاء المجتمع الذي توجد فيه وتقوم بخدمته.
2. رسالة الجامعة ليست في «صناعة متخصصين» وإنما المساهمة بدور طليعي في رفع المستوى الثقافي للأمة.
3. الجامعة هي المركز الذي يعدّ مدرس الغد، والمركز الذي يمارس البحث العلمي ويعدّ باحث الغد، وهو الذي يدرّب الشباب على تنمية قدراتهم النقدية، ويوجههم إلى التحليل العميق الحر للواقع المحيط بهم.
4. الجامعة المرتبقة يجب أن تتمتع بالانفتاح على تعدد المواد التعليمية الجديدة التي يتطلبها النمو الحالي.
5. حيث إن النظام التعليمي اليوم لا يستطيع أن يتجاهل مسؤولية جديدة إزاء ما يدعى بوقت الفراغ، فمن واجب التعليم العالي أن يجد صيغاً متعددة ذات أهمية خاصة «التعليم المفتوح كوسيلة تقدم خدمات تعليمية وثقافية تتجاوز حدود الزمان والمكان.

أما « القدس المفتوحة» التي تعد نمطاً رائداً من أنماط التعليم المفتوح ، فقد اختطت لنفسها طريقاً متميزاً، ووضعت لذاتها أهدافاً خاصة نجدها في نشراتها وكتيباتها وكتبها. وهنا نقراً أن رسالة جامعة القدس المفتوحة خلال الفترة ٢٠٠٥ - ٢٠١٠ تلخص بما يأتي:

1. نشر فلسفة التعلم المفتوح وتطبيق مبادئه وأساليبه، وفق أحدث المستجدات المعرفية والتكنولوجية.

2. منح درجة الماجستير في تخصصات مرتبطة بحاجات المجتمع الفلسطيني والبلدان العربية، إضافة إلى درجة البكالوريوس في برامج أكاديمية، وتخصصات تلبي متطلبات التنمية وحاجات المجتمع.

3. توفير خدمات التعليم الجامعي المفتوح لأبناء الشعب الفلسطيني وأبناء الأمة العربية وغيرهم.

4. توفير بيئة تشجع على حرية التفكير والتعبير وتجنب الصراعات الإيديولوجية والسياسية.

5. توظيف اللقاءات الصفية والوسائط التعليمية المتنوعة المطبوعة والمرئية والمسموعة والمحوسبة والالكترونية.

6. تطبيق مبدأ التعليم المتمحور حول المتعلم « الدارس».

7. الحرص على أن يكون مستوى البرامج الأكاديمية وخريجها يضاهي أو يفوق تلك الموجودة في الجامعات التقليدية.

8. متابعة تطوير الكتب الدراسية من حيث المحتويات العلمية ومن حيث الأسلوب الذي يشجع التعلم عن بعد.

9. زيادة الاهتمام بالتطبيقات العملية المنصوص عليها في البرامج الأكاديمية كالتربية والتنمية الاجتماعية.

10. تقديم برامج متنوعة للتعليم المستمر مدى الحياة، تؤدي إلى منح شهادات الدبلوم بمستويات مختلفة، وتعادل بساعات معتمدة.

11. السعي الحثيث إلى التحول نحو جامعة الكترونية توظف أحدث التقنيات التي تستخدم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

12. توظيف الكوادر البشرية المؤهلة وتدريبها.

يظهر من الأهداف السابقة مدى أهمية الدور الذي تؤديه جامعة القدس المفتوحة في رفد التنمية الفلسطينية بمقومات بشرية هائلة دأبت الجامعة على اجتذابهم وتأهيلهم وتدريبهم

دون تمييز على أساس من جنس أو عمر أو توجه سياسي أو إعاقة، كما سيتضح لنا ذلك من خلال استعراض أمثلة حية من واقع أنشطة الجامعة وأخبارها وتقاريرها وقصصها الرائدة مع فئات المجتمع الفلسطيني بأكمله، ومنهم النساء وذوي الحاجات الخاصة وكبار السن وغيرهم، وقبل ذلك لا بد من استعراض سريع لبعض المفاهيم المتعلقة بهذه الورقة وهي: التعليم المفتوح والتنمية البشرية والتنمية المستدامة.

مفهوم التعليم المفتوح:

نتيجة للتغيرات المهمة التي شهدتها العالم في عصرنا الحاضر والمتمثلة بالتفجر المعرفي والسكاني والتكنولوجي، وما رافق ذلك من زيادة الطلب على التعليم الجامعي، ظهر ما يسمى بالتعليم المفتوح الذي يركز على فلسفة توسيع قاعدة التعليم الجامعي من خلال إتاحة الفرصة لمختلف فئات المجتمع، وبصفة خاصة المحرومة منها للحصول على تعليم جامعي.

يعرف السنبل (1998) التعليم المفتوح على أنه نوع من التعليم نشأت فكرته وطبقت أول ما طبقت في بريطانيا ويقوم على أساس أنه مفتوح من حيث الأمكنة والأفكار ومرونة الأساليب لمواكبة المتطلبات المختلفة للطلبة إذ من الممكن أن يسرع الطالب في تحصيله أو يتباطأ أو يتوقف أو يستمر أو يعود بعد انقطاع.

من جهته يورد نشوان (١٩٩٧) المبررات العالمية التالية لاستخدام التعليم الجامعي المفتوح وهي:

1. توفير فرص التعليم الجامعي لمن أعاقتهم ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية من الالتحاق بالجامعات النظامية.
2. يستطيع الأفراد في المناطق النائية الاستفادة من التعليم المفتوح.
3. التعليم المفتوح وسيلة مهمة من وسائل التنمية في المجتمع من خلال تنمية أفراده
4. يسمح التعليم الجامعي المفتوح بالجمع بين الدراسة والعمل.
5. إن تعليم المرأة أمر أساسي في تنمية المجتمع وتطوره ، ومن هنا فإن التحاقها بالتعليم الجامعي المفتوح ييسر لها الدراسة، في الوقت الذي تقوم فيه بدورها الاجتماعي بشكل كامل.
6. يستخدم التعليم الجامعي المفتوح التقنيات التربوية على نطاق واسع وييسر للمتعلم استخدامها.
7. يمكن التعليم المفتوح استيعاب أعداد كبيرة جداً من الدارسين تفوق القدرة الاستيعابية للجامعات التقليدية.

8. يجعل التعليم المفتوح المتعلم مواكباً للتطورات المعرفية المتسارعة في عصر تتفجر فيه المعرفة وتتضاعف.
 9. يتصف التعليم المفتوح بالمرونة من حيث التنظيم الإداري والأكاديمي دون وجود حواجز للقبول.
 10. تشمل المسؤولية عن تعليم المتعلم في التعليم المفتوح كل المؤسسة التربوية وليس المعلم فقط.
 11. يكسب التعليم المفتوح العاملين مزيداً من الكفايات كل في مجال تخصصه من خلال الممارسة العملية.
 12. يوفر برامج أكاديمية تعطي الدرجة الجامعية أو دونها لمدة سنة أو سنتين بناء على رغبة الدارس.
 13. يوفر التعليم المفتوح برامج التعليم المستمر وخدمة المجتمع التي يحتاج إليها.
 14. يوفر التعليم المفتوح برامج تمكن الكبار من متابعة الدراسة توازي مفهوم محو الأمية.
- أما الخطيب (٢٠٠٦) فيذكر من أهداف التعليم المفتوح ما يأتي:**
1. تحقيق مبادئ ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص التعليمية والمساواة بين المواطنين دون تمييز.
 2. توسيع فرص التعليم الجامعي للمزيد من الراغبين في الالتحاق به، والاستجابة للطلب المتزايد على التعليم.
 3. تعويض الفرصة لمن فاتهم التعلم لأسباب شخصية أو عائلية أو اقتصادية أو اجتماعية أو وظيفية أو مكانية.
 4. الإستجابة لمتطلبات خطط التنمية الوطنية من الكوادر البشرية المؤهلة والمدرّبة.
 5. توفير فرص التعلم والنمو المهني المستمر للموظفين والعمال وهم على رأس عملهم.
 6. إتاحة الفرصة للشباب ولل كبار وربات البيوت لاستثمار وقتهم في تثقيف أنفسهم واكتساب المهارات النافعة.

مفهوم التنمية:

أشرنا في بداية مقدمة هذه الورقة إلى وجود علاقة قوية بين التربية والتعليم من جهة، وبين التقدم والتنمية من جهة أخرى، مما جعل المتخصصين في مجال التربية والاقتصاد يتحدثون باهتمام متزايد عن أهمية دور التربية في تطوير المجتمع وتنميته اقتصادياً وسياسياً وبشراً بل وروحياً وعاطفياً، وهذا يستدعي الحديث عن مفهوم التنمية والتنمية المستدامة، لنصل إلى محور

هذه الورقة وهو دور جامعة القدس المفتوحة كمحرك رئيس للتنمية المستدامة في فلسطين، والذي سيبدو جلياً من خلال استعراض ما تقوم به الجامعة من دور مهم وريادي في دفع عجلة التنمية البشرية والاقتصادية والاجتماعية على حد سواء.

بداية يمكن الإشارة إلى اختلاف تعريفات التنمية باختلاف المدارس التي ينتمي لها هذا الكاتب أو ذاك، ففي أدبيات التنمية تعريفات مختلفة ومتعددة، يعود السبب في اختلافها وتباينها إما للمكان أو الزمان، أو الظروف السائدة أو إلى الخلفية الأيديولوجية التي تقف خلف هذا التعريف أو ذاك، هذا بالإضافة إلى أن كل فريق يريد أن يبرز الجانب الذي يهتم به، فهناك من حاول ربط التنمية بالبعد الثقافي أو الأخلاقي أو الاقتصادي. لذا وقبل أن نخوض في قضية التعريفات المتعددة للتنمية، حري بنا أن نعرض على معنى التنمية لغوياً.

يشير عبود (1992) إلى أن التنمية -لغوياً- هي من النمو، وفعلة الثلاثي: نما ينمو، بمعنى «زاد وكثر، يقال «نمى الزرع، ونما الولد، ونما المال» ومن ثم فهو بمعنى «كبر وازداد». والفرق اللغوي بين (النمو) و (التنمية) هو أن النمو يحمل معنى «التلقائية» بينما تحمل التنمية معنى «التدخل» لإحداث هذا النمو أو توجيهه وجهة معينة.

ونذكر هنا ما يطرحه ريحان (1998) الذي أشار إلى أن الثروة القومية تنقسم إلى عنصرين رئيسيين هما: الثروة البشرية وعنصر الثروة المادية. وهذا يتفق مع ما يشير إليه سعيد (1998) حول تزايد الحديث عن مفهوم التنمية البشرية الذي ينظر للتنمية من منطلق تأثيرها على الناس وتأثرهم بها، ليصبح التوجه التنموي منطلقاً من قاعدة الهم التنموي (أي من الناس ومصالحهم ومن مشاركتهم واستفادتهم من العملية التنموية). كما أشار سعيد (1998) إلى ضرورة الاتفاق على جعل الإنسان محور اهتمام التنمية، إذ لا بد من تقوية الإنسان وتمكينه ضمن رؤية اجتماعية تعددية قادرة على التكيف مع المتغيرات، بحيث يبقى الإنسان مكرساً نفسه البناء.

ويذكر سعيد أن الأمم المتحدة كانت قد أعطت تعريفاً للتنمية منذ عام 1956 على أنها «العمليات التي يمكن بها توحيد جهود المواطنين والحكومة لتحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات المحلية ولمساعدتها في الاندماج في حياة الأمة والمساهمة في تقدمها بأقصى قدر مستطاع».

كما أشار عبد اللطيف (2002) إلى أن التنمية عملية مهمة لتحريك المجتمعات المتخلفة والنامية إلى مراحل متقدمة، وكثيراً ما تخفق بعض المجتمعات في تحقيق هذه الغاية بسبب قيام المسؤولين في هذه المجتمعات بالاعتماد على المداخل الاقتصادية وحدها كوسائل لتحقيق التنمية، متجاهلين دور باقي المداخل الأخرى المكونة للمجتمع وفعاليتها مثل المداخل الاجتماعية والدينية والسياسية.

أما أبو كريشة (٢٠٠٣) فيستخلص عدداً من خصائص وسمات التنمية منها:

1. أن التنمية تحدث تغييراً إلى الأمام وتهدف إلى تحقيق رفاهية أفراد المجتمع.
2. تحيط التنمية بجوانب الحياة كافة على اختلاف صورها وأشكالها، ولا تختص بجانب واحد من جوانب حياة المجتمع.
3. تعدُّ الجهود الأصلية عاملاً أساسياً في عملية التنمية وتؤدي القيادات الشعبية دوراً مؤثراً في التنمية.
4. تتطلب عملية التنمية قيام الحكومة بتوفير الدعم والمعونة في صورة فنيين ومعدات أو اعتمادات مادية.
5. قيام برامج تنمية المجتمع على الإحتياجات الفعلية لسكان المجتمع كله وليس جماعة معينة.

من جهة ثانية يشير الرشدان (2005) إلى أن التنمية هي مجموعة العمليات التي تحقق للمجتمع وإنسانيته أحوالاً أفضل، فالتنمية بهذا المعنى مجموعة إجراءات أو عمليات يصنعها الإنسان، فيرقى بمجتمعه نحو الأفضل ويحقق لذاته ما يساعدها على الحياة الأفضل. وقد يكون التعريف الأنسب للتنمية في الحالة الفلسطينية قائماً على أهمية قدرة الناس على التعامل (بالمعنى الشمولي) مع الأزمات والتحويلات التي تعصف بهم، لا سيما وقد عانى هذا الشعب كثيراً من الأزمات والنكبات والنكسات.

التنمية البشرية:

يشير سعيد (1998) إلى تزايد الحديث عن التنمية البشرية الذي ينظر للتنمية من منطلق تأثيرها على الناس وتأثرهم بها، ليصبح التوجه التنموي منطلقاً من قاعدة الهرم التنموي (أي من الناس ومصالحهم ومن منطلق مشاركتهم واستفادتهم من العملية التنموية). كما يشير سعيد إلى ضرورة الاتفاق على جعل الإنسان محور اهتمام التنمية، إذ لا بد من تقوية الإنسان وتمكينه ضمن رؤية اجتماعية تعددية قادرة على التكيف مع المتغيرات، بحيث يبقى الإنسان مكرساً نفسه للمقاومة والبناء.

وقد أشار سعيد (1998) إلى تعريف برنامج الأمم المتحدة الإنمائي للتنمية البشرية الذي ينص على أنها: « عملية توسيع لخيارات الناس وتعزيز قدراتهم من أجل استخدام أمثل لهذه الخيارات ». بينما نجد الرشدان (2005) يشير إلى أن تنمية الموارد البشرية تعني عملية زيادة المعارف والمهارات والقدرات لدى جميع الناس في المجتمع، وتنمية الموارد البشرية هي مفتاح مساندة العصر، حسب رأيه.

ويذكر عطية (2003) أن الأمم المتحدة أولت اهتماماً خاصاً بمصطلح التنمية البشرية منذ عام 1990 عندما أصدرت التقرير الأول للتنمية البشرية، ويورد تعريفاً للتنمية البشرية بأنها «عملية توسيع القدرات البشرية والانتفاع بها».

من هنا نستنتج أن الإنسان هو محور عملية التنمية فهو وسيلتها وغايتها، وهو يؤثر بها ويتأثر بها وبمخرجاتها بطريقة أو بأخرى.

التنمية المستدامة: (Sustainable Development)

بعد أن تعرفنا على مفاهيم التنمية والتنمية البشرية، لا بد لنا الآن أن نتعرف إلى مفهوم التنمية المستدامة لأهمية هذا المفهوم لهذه الورقة، حيث نجد أن أول من أشار إلى مفهوم التنمية المستدامة بشكل رسمي كان تقرير «مستقبلنا المشترك» الصادر عن اللجنة العالمية للتنمية والبيئة عام 1987 الذي عرف التنمية المستدامة بأنها: «التنمية التي تأخذ بعين الاعتبار حاجات المجتمع الراهنة بدون المساس بحقوق الأجيال القادمة في الوفاء باحتياجاتهم». (موقع بيئي <http://www.beeaty.tv/new/index.php>)

وحسب هذا التعريف فإن أبسط معاني هذه التنمية يكمن في كونها تنمية اقتصادية واجتماعية متوازنة ومتناغمة، تهتم بتحسين نوعية الحياة، مع حماية النظام الحيوي. وقد حصر تقرير الموارد العالمية الذي نشر عام 1992 المختص بدراسة موضوع التنمية المستدامة ما يقارب (20) تعريفاً للتنمية المستدامة، منها تعريفات ذات طابع اقتصادي ترى أن التنمية المستدامة لدول الشمال الصناعية تتمثل في إجراء خفض عميق ومتواصل في استهلاك الطاقة والموارد الطبيعية، وإحداث تحولات جذرية في الأنماط الحياتية السائدة في الاستهلاك والإنتاج، ومنها تعريفات ذات طابع اجتماعي وإنساني يرى أن التنمية المستدامة تعني السعي من أجل استقرار النمو السكاني ووقف تدفق الأفراد على المدن من خلال تطوير مستويات الخدمات الصحية والتعليمية في الأرياف وتحقيق أكبر قدر من المشاركة الشعبية في التخطيط للتنمية. www.beeaty.tv/new/index.php

بينما نجد أن المفوضية الدولية للبيئة والتنمية ترى أن التنمية المستدامة تتضمن أربعة أبعاد أو مضامين تشكل أساس التنمية المستدامة وهي: البعد الاجتماعي الذي يقصد بها أولويات احتياجات للتجمعات الفقيرة والمهمشة، والذي لن يتأتى إلا بالمشاركة الفعالة لهذه المجتمعات، ثم البعد البيئي الذي يدرس مدى قدرة الموارد الطبيعية والبيئية على مقابلة الاحتياجات الحالية بدون تدهور أو نضوب أو تلوث، ثم البعد الزمني ويقصد به استدامة تحقيق الاحتياجات لفترة طويلة، وأخيراً البعد الاقتصادي الاجتماعي ويعني هنا أن تكلفة تطوير المجتمعات الحالية يجب أن تكون مجدية اقتصادياً بشكل لا يؤدي إلى ترحيل هذه التكاليف وتراكمها على حساب الأجيال القادمة. [/http://www.3deedel.com/vb](http://www.3deedel.com/vb)

دور جامعة القدس المفتوحة باعتبارها محركاً رئيساً للتنمية المستدامة في فلسطين:

حيث إن هذا هو محور الورقة الرئيس، لا بد أن ننطلق من مسألة مهمة تتعلق بدور التعليم المفتوح في تحقيق التنمية المستدامة وعلى رأسها التنمية البشرية في فلسطين، وذلك من خلال استعراض دقيق ومدروس لأهداف جامعة القدس المفتوحة وأنشطتها ورسالتها العظيمة في المجتمع الفلسطيني، وسنركز هنا على ما يمكن قراءته من البوابة الأكاديمية للجامعة.

نبدأ حديثنا بالقول إنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نتصور حدوث تنمية دون أن يتم هذا التغيير المنشود للمجتمع في اتجاه العلم والتكنولوجيا، والذي يقوم على إحداث تنمية بشرية تهتم بالإنسان أولاً، ومن ثم فإن التنمية اليوم تفرض ضرورة التحول الفكري للمجتمع بأسره نحو الروح العلمية والتكنولوجيا الذي نجده في إحدى كليات جامعة القدس المفتوحة المعتمدة وهي كلية التكنولوجيا والعلوم التطبيقية التي وضعت نصب عينها أهدافاً تدرج ضمن فلسفة جامعة القدس المفتوحة ورسالتها التي سنأتي على نقاشها بعد قليل.

ويقودنا هذا إلى الحديث عن الدور الذي يؤديه التعليم الجامعي في حياة الأمم، فمن المفروض أن المجتمع يضع في نظم التعليم أموالاً وقيماً وجهوداً، ثم يجني آخر الأمر ثمرة هذه الجهود في أشخاص يخدمون المجتمع ويخدمون الدولة ويخدمون أنفسهم ومن حولهم، ويكونون روافد غنية للتنمية الشاملة المستدامة بتقسيماتها وأسمائها المختلفة، حيث أصبحت مفاهيم التنمية الاقتصادية والتنمية القومية والتنمية البشرية وتنمية المجتمع المحلي من المفاهيم الشائعة في المجتمعات المتقدمة والنامية على حد سواء.

وهنا يشير السليطي (2002) إلى ما فحواه أن نشر التعليم وتوفيره للجميع يعد مطلباً أساسياً لتحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتحسين مستويات الدخل وتمكين المجتمع من الاستفادة من موارده البشرية بشكل أفضل، وبخاصة في ضوء المنافسة الاقتصادية التجارية والمالية وبروز قضية التنمية البشرية كقضية لها الأولوية في برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما أن خلق المجتمع المتعلم مطلب أساسي من متطلبات تحقيق الرفاهية والمشاركة المجتمعية والتنمية المستدامة، وتعظيم إنتاجية الأفراد وإكسابهم المعرفة والمهارات والاتجاهات اللازمة للعيش في مستوى ثقافي وحضاري واقتصادي متقدم.

من هنا تعتمد نوعية التنمية البشرية في الحالة الفلسطينية بشكل أساسي ومحوري على مستوى ونوعية التعليم والتدريب الذي تقدمه المؤسسات التعليمية والأكاديمية والتدريبية والتي تشكل جامعة القدس المفتوحة إحداهما بل أهمها كونها تمثل ما يقارب من 40% من حجم التعليم العالي، حيث بلغ عدد طلبتها قرابة 65 ألفاً في العام الأكاديمي 2013/2012.

لذلك ما يلائم هذا النمط من مقررات صممت لهذا الغرض من أجل تدريب الطالب على آليات التعلم الذاتي وطرق استغلال قدراته وإمكانياته الفكرية والعقلية، إضافة إلى توظيف الوسائط التقنية التي تحقق أهداف هذا النمط من التعليم، وبالتالي يصبح الفرد مالكا للخبرات والمهارات التي تؤهله لمواجهة البيئة المحيطة والتغيرات المحتملة بفاعلية ونجاح. ولا شك في أن مثل هذا التوظيف الحكيم لهذه المهارات إنما يهدف إلى الوصول إلى متعلم مبدع من خلال عملية تربوية هي بحد ذاتها إبداعية، لأن هدف هذه العملية هو متعلم يتجاوز حدود الحاضر ويستثمر طاقاته الفكرية في التفكير والتحليل والنقاش، بعيداً عن دور المتلقي للمعلومات، لأن التعليم المفتوح الذي تتبناه «القدس المفتوحة» يؤمن بشراكة الطالب المتعلم في البحث والنقد والتحليل. ومؤخراً قامت الجامعة بإدخال الدارسين كجزء من العملية من خلال مركز التعلم المفتوح، بالتعاون مع دائرة شؤون الطلبة ليتم نقل الثقافة من دارس إلى دارس، ويصبح الدارسون بذلك شركاء في تعزيز ثقافة التعلم الإلكتروني، وتفعيل خدمات التكنولوجيا في مجال التربية التي تتفق مع هدف تعميق الاهتمام بنوعية الأداء على جميع الصعد، ضمن خطة مدروسة لتحقيق الجودة الشاملة تنتهجها الجامعة منذ سنين، والتي جعلتها تحقق تقويماً إيجابياً على مختلف الصعد، بل جعلها تحتل أفضل مؤسسة أكاديمية للعام 2009، وليحتل رئيسها وأحد مؤسسيها الأستاذ الدكتور يونس عمرو أفضل شخصية أكاديمية للعام ذاته حسب استطلاع أجرته شبكة معاً الإخبارية.

كما يظهر اهتمام الجامعة بنوعية الخدمات التعليمية المقدمة للدارسين من خلال عقدها الورش التدريبية المختلفة في مجال ضمان الجودة والتقويم الذاتي التخصصات الأكاديمية والمناهج الدراسية وذلك بالتعاون مع مركز القياس والتقويم في الجامعة، ومركزي التعليم المفتوح ومركز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICTC) وكذلك عقدها لورش تدريبية حول ضمان الجودة والتقويم الذاتي في التعليم المستمر وخدمة المجتمع.

أما في مجال الدارسين، فتسعى الجامعة إلى إعداد الدارس إعداداً كافياً لكي يتخرج إنساناً يملك المعارف والمهارات الكافية للاستمرار في التعلم معتمداً على نفسه، ويتم بروح المبادرة والفاعلية والتنظيم والقدرة على مواجهة التحديات، وهي تطمح دوماً إلى الإسهام في إكساب المتعلم شخصية محلية وعربية، قوية الانتماء للوطن والأمة، وهذا بدوره يسهم في إحداث تنمية بشرية تعد أساساً لأي تنمية مستدامة نطمح إليها في فلسطين، ويظهر ذلك جلياً في سعي التخصصات الجامعية جميعها نحو تحقيق هذا الهدف، ومنها على سبيل المثال تخصصات كلية التربية التي تسعى إلى تأهيل الدارسين للعمل في مهنة التدريس، وإكسابهم المهارات والكفايات اللازمة لهذه المهنة، هذا عدا عن اهتمام كلية التربية بالجانب التدريبي من خلال مقرر التربية العملية، لذلك يحقق الدارسون نتائج جيدة ليس فقط في امتحان التوظيف، بل يثبتون جدارتهم بحسب شهادات المسؤولين عندما ينخرطون في مهنة التدريس. كما يظهر اهتمام الجامعة

الواضح بنوعية التعليم من خلال اهتمامها بتطوير التعليم الإلكتروني، وطرح تخصصات جديدة كان آخرها تخصص الإدارة الصحية وتخصص الاتصالات ووضع برنامج للدراسات العليا ما زال ينتظر صدور قرار وزارة التربية والتعليم العالي والهيئة الوطنية حول اعتماده منذ سنين.

♦ **ثانياً: تسعى الجامعة ضمن أهدافها المعلنة إلى بناء خريج متمكن من حيث الشخصية والناحية الأكاديمية بحيث يستطيع أن ينافس في سوق العمل.** ويظهر هذا التوجه واضحاً من خلال أنشطة الجامعة التي تنصب نحو تحقيق هذا الهدف. وضمن هذا السياق الذي يهدف إلى تخريج كفاءات مدربة تحرص الجامعة على عقد دورات وورش عمل بالتعاون مع العديد من المؤسسات المحلية بهدف تقديم التدريبات للخريجين، أو من هم مقبلون على التخرج، فنجد مثلاً أن فرع القدس يخرج بالتعاون مع دائرة تنمية المجتمع التابعة لبيت الشرق دورة لدارسيه وخريجيه كانت بعنوان ”محطات“ والتي اشتملت على مواضيع عدة منها مهارة الاتصال الاجتماعي وديناميكية العمل الجماعي والاستعداد للعمل والتفكير التكيفي وحقوق العمال والتنظيم. كما نظمت لأول مرة يوم التوظيف والذي شارك فيه أكثر من 30 مؤسسة وشركة. كذلك نقرأ من خلال البوابة الأكاديمية أن فرع الخليل وبالتعاون مع كلية العلوم الإدارية والاقتصادية ونادي العلوم الإدارية والاقتصادية قد نظم ورشة عمل حول «التدريب في خدمة سوق العمل» الذي هدف لصقل مهارات الدارسين المختلفة. بينما نجد فرع طوباس يفتتح دورة مهارات إدارية هدفت إلى تعزيز فرص الخريجين في الحصول على الوظائف من خلال تزويدهم بمهارات مختلفة في مجالات كتابة التقارير الإدارية ومهارة كتابة مقترحات المشاريع وإدارة الاجتماعات الفعالة. ثم نجد قسم متابعة الخريجين يختتم دورتين تدريبيتين في فرع قلقيلية وفرع طولكرم لطلبة تخصص الخدمة الاجتماعية وخريجيه، وذلك بالتعاون مع منتدى شارك الشبابي حيث تمحورت الدورتان حول تعريف المشاركين بالمخدرات وأنواعها وكذلك الأضرار الصحية والنفسية والاجتماعية الناجمة من جراء تعاطيها.

من جهة أخرى تعمل الجامعة على متابعة الخريجين وتوثيق عرى التواصل معهم، فأنشأت لذلك قسم متابعة الخريجين في إطار دائرة شؤون الطلبة، ويهتم بعمل دراسات وأبحاث لتحديد الاحتياجات التدريبية للخريجين بما يتواءم مع حاجة سوق العمل، وتسعى هذه الدائرة إلى المساهمة في بناء خريج متمكن أكاديمياً يتمتع بشخصية ريادية، بحيث يستطيع أن ينافس في سوق العمل، وتمكن هذا القسم من الوصول إلى نسبة عالية من الخريجين. كما استطاع قسم متابعة الخريجين جمع كم هائل من المعلومات عن سوق العمل الفلسطيني ومكوناته سواء في القطاع الخاص أو الحكومي أو الأهلي، واستطاع من خلال مركز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات أن يبني شبكة حاسوبية تتمثل في منتدى الكتروني أطلق عليه مسمى «خريجو الجامعة»، والذي من خلاله يستطيع تخزين هذه البيانات التي جمعت وتحديثها باستمرار والتعامل معها والاستفادة

منها بطريقة علمية، بالإضافة إلى خلق آلية للتواصل الفاعل والمستمر مع الخريجين، ومع المؤسسات الموجودة في قطاع العمل المحلي. ويخدم هذا القسم أيضا الخريجين من خلال توفير فرص للدراسات العليا ومساعدتهم في التقدم بطلبات لهذا الغرض خاصة للفرص الخارجية، وكذلك يساعد القسم الخريجين على الاطلاع على كل التحديثات داخل الجامعة حتى يكونوا دوماً على تواصل معها والاستفادة منها. وتواصل القسم مع الخريجين العاملين في السوق بهدف الحصول على تغذية راجعة تساعد على تقديم توصيات أمام صناع القرار خاصة في الإطار الأكاديمي حول تطوير التخصصات الأكاديمية وتحديثها. كما لا ننسى هنا أيام التوظيف التي ينظمها قسم متابعة الخريجين وعمادة شؤون الطلبة، تفتح من خلالها مساحة للتواصل بين خريجي الجامعة وبين المجتمع المحلي، ويحاول القسم كذلك من خلال تنظيم أيام التوظيف توفير فرص عمل للخريجين أو للدارسين ممن هم على وشك التخرج، واستطاع من خلال هذه الأيام إنجاز العديد من الأمور، وبشكل خاص في موضوع توظيف الخريجين في المؤسسات، وقد اثبتوا جداتهم، ومن خلال التغذية الراجعة من المؤسسات، تبين أن خريج جامعة القدس المفتوحة يستحق أن يأخذ فرصته الكاملة وهو قادر على أن يعطي بشكل متميز. وللدلالة على عمق الروابط التي تجمع الجامعة بخريجها، نجد خريجي «القدس المفتوحة» المميزون يشيدون بدور الجامعة في خدمة المجتمع المحلي من خلال لقاءات ومقابلات تجريها الجامعة مع هؤلاء الخريجين في مكان عملهم، وهم دوماً يشيدون بدور الجامعة في صقل شخصياتهم، ومدّهم بسلاح العلم للارتقاء مجتمعياً ووظيفياً، وتراهم يتحدثون عن أهمية «القدس المفتوحة» في تمكين الدارسين من إكمال تعليمهم، ومن هؤلاء نذكر على سبيل المثال لا الحصر: عفاف عطية أحمد زبده التي تعمل محاضرة غير متفرغة في جامعة بيرزيت، والتي تقر بأن جامعة القدس المفتوحة وفرت لها البيئة المناسبة لإكمال دراستها الجامعية مع الحفاظ على وظيفتها كونها تعتمد فلسفة التعليم المفتوح». أما يوسف محمد نياح البطراوي الذي يعمل أستاذاً مساعداً في كلية مجتمع المرأة وكلية العلوم التربوية فيقول بأن تخصصات الجامعة ومستواها العلمي على مستوى عالٍ، وخريجها يلبن احتياجات السوق، وهذا بشهادة مؤسسات كثيرة». من جهته يقول عبد السميع فوزي الشيخ - المدير الفني لبرنامج التأهيل المهني في الضفة - أن «الجامعة فتحت أمامي آفاق المستقبل بسبب تبنيها سياسة التعليم المفتوح، والأكاديمي والإداري الموجود في الجامعة ساهم في بناء جيل يعمل على بناء المجتمع». بدورها تقول الدكتورة ليلي داوود محمود غنام - محافظ محافظة رام الله والبيرة أن «جامعة القدس المفتوحة احتضنتني وفتحت لي الآفاق المهنية والأكاديمية، وعززت الثقة في نفسي، وزرعت في العزم على التفوق والنجاح مهما كانت الظروف، كل ذلك انعكس إيجاباً على حياتي المهنية». كذلك هو الحال مع كاظم عبد اللطيف كاظم الموقت - مدير الغرفة التجارية والصناعية في محافظة أريحا الذي ذكر بأن التحاقه في

جامعة القدس المفتوحة كان له الفضل الأكبر في تدرجه في السلم الوظيفي». أما سميح محمد حسن أبو زاكية- مدير مركز بيت الطفل الفلسطيني- فيقول بفخر «أنا أعتز بأنني أحد خريجي **جامعة القدس المفتوحة**، فقد تعلمت فيها المزج بين التعلم والعمل فطوال فترة دراستي كنت أعمل مديراً لمركز بيت الطفل الفلسطيني، وكنت أجد في ذلك حافزاً على تحصيل ممتاز للعلم». كذلك هو الحال مع رماء عفيف تركي نزال- رئيس قسم الحاسوب في ضريبة أملاك قلقيلية التابعة لوزارة المالية، و تغريد احمد شحادة حنون- رئيسة جمعية حواء المستقبل في رفح و محمد احمد علي هلسه (أبو السكران) - مدير الشؤون الإدارية في وزارة الحكم المحلي. أما د. حسني محمد عوض- الذي يشغل الآن منصب رئيس قسم المرحلة الأساسية ومنسق التربية العملية في **جامعة القدس المفتوحة** فيقول «لقد كان لالتحاقني في الجامعة أثر كبير جداً على تطوري المهني حيث إنني لم أتمكن من إكمال تحصيلي العلمي بسبب الاعتقال المتكرر، وبعد أن كنت ضابطاً في أمن الرئاسة الخاص، تمكنت من الحصول على درجة الماجستير والدكتوراه، وعينت مشرفاً أكاديمياً في الجامعة، ولقد مكنتني الجامعة من الإستمرار في دراستي وأنا على رأس عملي». أما عرفات فايز شحادة المصري- مدير مديرية الشباب والرياضة في طوباس فيقول: «وفرت الجامعة لي الفرصة لإكمال دراستي وحصولي على شهادة البكالوريوس، والتي من خلالها تدرجت في السلم الوظيفي حتى وصلت إلى مدير مديرية الشباب والرياضة، كما ساعدتني في حياتي النقابية من خلال الحياة الجامعية التي وفرتها لي، فترشحت لنقابة الوظيفة العمومية وفزت بها». ويقول د. مرزوق عبد الله البدوي الذي يعمل محاضراً في جامعة النجاح: «كنت أعمل موظفاً في بلدية نابلس ثم موظفاً في دائرة الأعمال الهندسية في جامعة النجاح، وقد أحببت اللغة العربية وأدبها، فدرست اللغة العربية في «القدس المفتوحة»، ثم حصلت على الماجستير من جامعة النجاح ثم الدكتوراة من جامعة النيلين في الخرطوم، وأعمل الآن مدرساً في جامعة النجاح، وأعمل في بعض الفصول مشرفاً أكاديمياً غير متفرغ في **جامعة القدس المفتوحة**».

وللدلالة على اهتمام الجامعة بطلبتها، نجد الجامعة قد فتحت آفاقاً أمام طلبتها الخريجين لإكمال دراستهم العليا ضمن مشروع خاص تتبناه الجامعة لاحتضانهم بعد الإنتهاء من دراساتهم «العليا» للعمل كمشرفين أكاديميين في تخصص الخدمة الاجتماعية لحاجة الجامعة إلى مشرفين في هذا التخصص، فأوفدت عدداً من الطلبة إلى جامعة حلوان المصرية للحصول على درجة الماجستير، وقد أثبت هؤلاء تميزاً واضحاً شهد له أساتذتهم هناك.

♦ **ثالثاً: تسعى الجامعة إلى زيادة الاهتمام بشرائح مجتمعية معينة لمساعدتها على زيادة فرص إلحاقها بالتعليم العالي والنجاح فيه.** فهي من جانب أول توفر فرصة للدارسين لإكمال تعليمهم إلى جانب تمكينهم من الالتزام بواجباتهم ومسؤولياتهم تجاه العمل أو الأسرة، والإسهام في خدمة مجتمعهم أثناء دراستهم. ويشير د محمد. شاهين عميد شؤون الطلبة

في لقاء مع «رسالة الجامعة» إلى أن فلسفة الجامعة تحول دون أن يكون الوضع المالي حاجزاً أمام أي دارس لإكمال تعليمه، لذلك توفر الجامعة للدارسين مساعدات مالية متنوعة ومتشعبة لا تقل قيمتها عن 4 ملايين دينار سنوياً. من جانب آخر تحرص الجامعة على أن توفر لذوي الاحتياجات الخاصة فرصة الالتحاق بالجامعة، إيماناً منها بحق هذه الفئة في التعليم، وحققها في المشاركة في التنمية الفلسطينية كباقي أفراد المجتمع. ولزيادة الفرص الممنوحة لتلك الفئة، نجد أن الجامعة قد وفرت ثلاثة مختبرات للمكفوفين في ثلاثة فروع للجامعة، وهي تخدم المكفوفين من طلبة الجامعة على اختلاف مستويات الإعاقة البصرية لديهم. وتقدم هذه المراكز أيضاً الخدمة لكل من يعاني من إعاقة بصرية سواء كان موجوداً في مؤسسة تعليمية جامعية أو مدرسية في المجتمع المحيط، وما زال هناك مراحل تطويرية لهذه المختبرات حتى تعمم الخدمة على بقية المناطق والمواقع الجغرافية. وتعد هذه التجربة الأولى من نوعها على مستوى جامعات الضفة، حيث تستخدم المعلوماتية لإنارة طريق المحرومين من البصر وتعمل على تطوير قدراتهم ومهاراتهم، والعمل على دمجهم بشكل فاعل في بيئتهم ومجتمعهم. وقد استطاعت مختبرات الحاسوب الثلاثة أن تقدم العديد من الدورات التي من شأنها إكساب أصحاب الإعاقات البصرية من المجتمع المحلي مهارات حاسوبية. ومن بين هذه الدورات: مقدمة عامة حول علم الحاسوب ومكونات لوحة المفاتيح والطباعة باللغتين العربية والإنجليزية ونظام النوافذ وأداء العمليات الأساسية وبرنامج محرر النصوص word ومهارات تصفح الإنترنت الأساسية.

أما عن الأثر الذي أحدثته هذه المراكز في نفوس المكفوفين، فقد استطاعت هذه المراكز أن تساوي الطالب الكفيف بغيره، وزادت من ثقته بنفسه وقدراته وانخراطه بالمجتمع المحلي أسوة بشرائع المجتمع الأخرى، لكونها تساهم في زيادة خبرات الطلبة، وانعكاس ذلك على حياتهم الوظيفية ودورهم بالمجتمع، حيث تطوّر هذه المراكز ثقافة الطالب ومعلوماته، مما ينعكس بالإيجاب عليه وعلى أداءه، ويستطيع بذلك المنافسة على الوظائف كغيره من أبناء المجتمع، كذلك فإن التحاقه بالمراكز يفتح آفاقاً ومجالات واسعة أمامه من خلال التواصل مع المجتمع ومؤسساته المختلفة. وقد شكلت هذه المراكز نقلة نوعية لدى الطالب الكفيف من خلال إيصاله بمن حوله وبالمصادر التعليمية المختلفة والمنتشرة في المجتمع المحلي. وللتدليل على مدى انخراط فئة المعاقين في جامعة القدس المفتوحة نطرح بعض الأمثلة لدارسين احتضنتهم الجامعة، وقدمت لهم كل التسهيلات من دعم مادي ومنح دراسية ودعم معنوي ومؤازرة، حيث نجد على سبيل المثال أن سحر محمد أحمد البالغة من العمر (35) عاماً، تدرس في فرع غزة رغم فقدانها السمع، ولم تحل إعاقتها السمعية أمام طموحاتها، فالتحقت «بالقدس المفتوحة» لإكمال تعليمها. ووجدت سحر في الجامعة الفرصة الكاملة في التعليم والعمل وتربية الأطفال لاتباعها سياسة التعليم المفتوح، وبتوفيق من الله وإرادتها وعزيمتها القوية حققت معدلاً تراكمياً مميزاً مقداره 85.

من جهة أخرى كان سلمان مازن الشويكي الذي عاش منذ الطفولة على كرسي متحرك بسبب إعاقة حركية كاملة، قد اتخذ من جامعة القدس المفتوحة متنفساً وملتقى فكرياً وأديباً، فحصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية بامتياز في شهر تموز من عام 2009، قبل أن يختاره الله إلى جواره في شباط 2010. كما نجد هبة محمد غانم أبو رزق تعلن عن تحديها لإعاقتها الحركية، وتبدي إصرارها على مواصلة الحياة والتأقلم معها، لتجد ملاذاً آمناً في فرع خانيونس جامعة القدس المفتوحة الذي احتضنها وساعدها متكفلاً بجميع مصاريفها الدراسية، حين منحها منحة جامعية كاملة طبقاً لقوانين وسياسة الجامعة، وتراها اليوم تنظر بأمل وطموح متقد إلى البعيد، لتجد نفسها في وظيفة ضمن تخصصها في العلوم الإدارية والاقتصادية.

أما عبد الفتاح الدبس (29) عاما فلم يستسلم لإعاقة البصرية، بل مارس حياته كأى شخص سوي، فلم يلتفت إلى الراء يندب حظه وقدره في هذه الدنيا، ولم ينتظر إحساناً وشفقة من أحد، فقد التحق بفرع غزة التعليمي في تخصص التربية الإسلامية، ويقول عن سبب التحاقه بالقدس المفتوحة: «بغض النظر عن قرب الجامعة من منطقة سكناي، فهي تقوم بجميع النشاطات لجميع أفراد المجتمع دون النظر إلي فئاته، فهي لكل المجتمع سواء العاديين أو ذوي الاحتياجات الخاصة مثل المكفوفين، كما أن الجامعة تعتمد على الاستقراء والاستنتاج والفكر الناقد والمبادرة والإبداع، وهذا يحقق كل ما يحتاجه الطالب»، ويرد عبد الفتاح قائلاً «وجودي في جامعة القدس المفتوحة ساعدني للخروج من دائرة اليأس والملل، وأعطاني الطمأنينة والثقة والأمل، فعملت على صقل شخصيتي خاصة بعد تجربتي الفاشلة في جامعة سابقة، كانت فيها معاملة الإدارة والعاملين لذوي الاحتياجات الخاصة سيئة وأكثر من سيئة، ولكن بعد مجيئي لهذه الجامعة، تغيرت تلك النظرة، حيث أتاحت لي فرصة الحركة والدراسة».

أما صفاء أبو محسن التي تخرجت من فرع طوباس وكلها ثقة بنفسها وقدرتها على متابعة المسير رغم إعاقتها البصرية، فقد ولدت كفيفة في أسرة تكونت من سبعة أشخاص، وهي الفتاة الوحيدة بينهم. وقد وجدت صفاء ضالتها بجامعة القدس المفتوحة، وكان انتشار الجامعة وسمعتها وجود التخصص الذي تريد عوامل جعلتها تحسم أمور الدراسة الجامعية بشكل سريع، وتلتحق بالجامعة لتكتب فيها ومن خلالها فصلاً آخر من فصول النجاح، ولتخوض تجربة أخرى مميزة. ومن حسن طالعتها أنها حصلت على منحة كاملة ساعدتها على إكمال دراستها في ظل ظروف اقتصادية صعبة. وبعد تخرجها اجتازت صفاء امتحان التربية والتعليم والمقابلة بنجاح، وتنتظر خبر توظيفها في مدرسة خاصة بالمكفوفين بفارغ الصبر، وهي تقوم بمساعدة الأهل بالأعمال المنزلية وتدرّس أختها مادتي اللغة الإنجليزية والرياضيات.

ومن الأمثلة الأخرى على احتضان الجامعة لذوي الاحتياجات الخاصة، نجد صهيب فايز عزام يدرس التربية الإسلامية في فرع جنين، وهو رغم إعاقة البصرية يحفظ القرآن الكريم،

ويتفوق في الجامعة على نظرائه الأصحاء، وصهيب يبلغ من العمر 28 عاماً، متزوج ولديه ثلاثة أبناء وثمانية أخوة وأخوات، وكان قد التحق بالقدس المفتوحة عام 2007 بعد أن ترك دراسته الثانوية عشر سنوات. وعندما نجح في امتحان الثانوية العامة كان الالتحاق بجامعة القدس المفتوحة على سلم أولوياته. وحول فلسفة جامعة القدس المفتوحة يقول: «هذه الفلسفة في التعليم تمكن الدارس من إظهار قدراته، كما أنها تمكن كل فئات المجتمع من إكمال دراستهم الجامعية بموازاة العمل».

أخيراً نجد أحمد عودة يدفع بكرسيه الكهربائي في شوارع طولكرم باتجاه فرع الجامعة، ليتحدى الإعاقة، وليتخصص في الخدمة الاجتماعية. وترتبط حياة أحمد بكرسيه المتحرك الكهربائي لينقله بكبسة زر من حياته المتوقعة إلى عالمه الأكاديمي، ولتدفعه إرادته القوية نحو إثبات كيانه ووجوده في المجتمع. وكان أحمد قد نهض مجدداً بعد غيابية امتدت ثلاثة أشهر، ليدرك أن رصاصة الاحتلال أصابته بشلل رباعي، لكنها لم تصب إرادته وعنفوانه، بل جعلته يتحدى القدر، ويثبت أن المرء بإرادته يستطيع تحقيق أحلامه. وقال أحمد بعيون جريئة وتحدّ عال ظهر على تعابير وجهه: «إن الجامعة ساهمت في التخفيف من الآثار السلبية للإحتلال، وذلك عبر إيصالها خدمة العلم والمعرفة لجميع أبناء الشعب في أماكن سكنهم، لاتباعها سياسة التعليم المفتوح، وامتدادها إلى أرجاء الوطن كافة، مؤكداً أن نظام الجامعة وفلسفتها ساهمت في تشجيعه والالتحاق بها ليندرج اسمه ضمن قائمة المتفوقين».

ومن الفئات التي تحتضنها جامعة القدس المفتوحة فئة الأسرى المحررين، وهي شريحة مناضلة قدمت التضحيات لفلسطين، حيث تنطلق جامعة القدس المفتوحة من مبدأ توفير فرص التعليم الجامعي لمن أعاقتهم ظروفهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية من الالتحاق بالجامعات النظامية، لتقدم بذلك خدماتها التعليمية لمناضلين أمضوا سنوات من حياتهم في سجون الاحتلال، ونجد من هؤلاء على سبيل لا المثال لا الحصر - أسماء مضيئة في عالم النضال الفلسطيني مثل كفاح الزغبيني الذي اختار أن يزامن ابنته على مقاعد الدراسة في فرع جنين التعليمي، وهو الرائد المتقاعد الذي تعرض للاعتقال مرات عدة، وهُدْم منزله وشُردت عائلته، فكان عزاءه الوحيد شهادة جامعة القدس المفتوحة، تلك الجامعة التي أخذت بيده، وحاولت تضييد جراحه بعدما عصفت به الأزمت، وكذلك حصول بناته على الشهادة الجامعية، وانخراطهن في سوق العمل. وحكايته شاهد على دور «القدس المفتوحة» ومساهماتها في تنمية الإنسان وتطويره أكاديمياً واجتماعياً وثقافياً. كل ذلك حافزاً له للالتحاق بجامعة القدس المفتوحة؛ لأنها الجامعة الوحيدة التي توفر فرص التعليم الجامعي لمن حالت ظروفهم الاقتصادية أو الاجتماعية دون ذلك، بالإضافة إلى نظام التعليم المفتوح الذي تنتهجه الجامعة، الأمر الذي مكنه من التوفيق بين دراسته وظروف العمل في وظيفة حكومية.

بينما نجد الأسير المحرر زياد أحمد الرجوب، وكيل وزارة الأوقاف والشؤون الدينية في السلطة الوطنية، يبحث عن فرصة علم في جامعة القدس المفتوحة عام 1991، غير أن الاحتلال سرعان ما أعاد اعتقاله قبل أن يكمل الفصل الدراسي الأول ليعاود الالتحاق بالجامعة مرة أخرى عام 1996، وكان عمره آنذاك (35) عاماً، وزياد له تاريخ نضالي حافل بالبطولات والتضحيات، فهو أسير محرر، التحق بالحركة الوطنية أثناء دراسته في المدرسة واعتقل قبل وصوله للمرحلة الثانوية، ثم حصل على شهادة الثانوية في السجن.

كما نجد الأسير المحرر امجد ذيب يعود للدراسة بعد سنوات أسردامت 18 عاماً، وهو من كفر ثلث شرق قلقيلية، يبلغ من العمر (36) عاماً، وكان هاجسه أن يكمل مسيرته التعليمية. ويعدُّ ذيب واحداً من بين مئات الأسرى الذين فضلوا الالتحاق بجامعة القدس المفتوحة بسبب نظام الدراسة فيها، حيث يقول امجد: «نعم، جامعة القدس المفتوحة هي جامعة الأسرى والمحررين، كونها الجامعة الوحيدة التي تمكن الطلبة في مختلف أعمارهم من الالتحاق بها، بسبب طبيعة مناهجها التي تعتمد أساساً على التعليم المفتوح، وبين أنه يسعى للحصول على الشهادة الجامعية كي لا يكون عبئاً على أحد حتى في حال حصوله على وظيفة في القطاع الحكومي حال توفر الإعتماد المالي اللازم، كما وعد من قبل المسؤولين في وزارة الأسرى. وقال: «أي وظيفة سألتحق بها مستقبلاً يجب أن تكون بناءً على شهاداتي العلمية، وأرغب أن أكون عضواً في المجتمع، ولا أرضى أن أشكل عبئاً على أي كان».

أما الأسير المحرر جهاد البطش فله حكاية أخرى مع الجامعة، فقصته تمثل رحلة كفاح طالب في القدس المفتوحة تحول إلى مسئول كبير فيها، فقد كان جهاد أول معتقل إداري في الانتفاضة الأولى في مدينة غزة، وكان قد التحق بالعمل الوطني بمدرسة فلسطين الثانوية حيث اعتقل من مدرسته، والتحق بالجامعة الإسلامية، واعتقل مرات عدة في أثناء دراسته، وبعد قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، عمل البطش في مؤسساتها، حاملاً حلمه في قلبه يحدوه الأمل والاستمرار في مواصلة المسيرة التعليمية، متناسياً المعوقات التي واجهته في الانتفاضة الأولى. وما أن أتاحت له الفرصة حتى بادراً إلى إكمال التعليم، والتحق البطش فوراً بجامعة القدس المفتوحة نهاية عام 1995، حيث كان يحلم بالوقت الذي يكون فيه مدرساً أو أستاذاً في الجامعة، وكان هذا الإصرار حاضراً برغم فارق السن بينه وبين طلبة الجامعة العاديين، وبالجد والاجتهاد استطاع البطش بفترة وجيزة إنهاء متطلبات التخرج خلال 3 سنوات ونصف، وبتشجيع من أساتذته في الجامعة حصل البطش على قبول للدراسات العليا، واختار جامعة النجاح لمواصلة مسيرته التعليمية. ثم حصل على الدكتوراه ليتقلد مناصب عدة في «القدس المفتوحة» منها عضوية لجنة المشاريع ولجنة التخطيط والاستراتيجيات، ثم مساعداً أكاديمياً وإدارياً في فرع غزة، وقائماً بأعمال مدير فرع غزة، والمراقب الإداري للجامعة، ومساعداً لنائب الرئيس للشؤون الأكاديمية، وأخيراً قائماً بأعمال الرئيس لشؤون قطاع غزة.

وقصة البطش تشبه في مضمونها قصة أسير محرر آخر هو **محمد عوض المشرف** في فرع طولكرم التعليمي الذي تحول من ميكانيكي سيارات وبائع خضار إلى مشرف أكاديمي في هذه المؤسسة العملاقة التي ذلت أمامه العقبات، ووفرت له فرصة إكمال تعليمه، وصولاً إلى نيل الدكتوراه. وكان عوض قد أنهى الثانوية العامة عام 1984، وتعرض للإعتقال الإداري لمرات عدة متتالية، وعلى الرغم من ظروف الاعتقال الصعبة، فإن حلمه بقي حاضراً في تفكيره ووجدانه، وبعد تحرره من المعتقل عام 1991 حاول الالتحاق بجامعة النجاح مرة أخرى لاستكمال التحصيل الجامعي، إلا أن حصوله على الهوية الخضراء في تلك الفترة، والتي كانت تعطيها سلطات الاحتلال لنشطاء الانتفاضة لتمييزهم والتضييق عليهم، حالت دون تمكنه من استكمال تحصيله الجامعي، فقرر العودة إلى العمل مرة أخرى حيث عمل في مجالات عدة ومهن مختلفة، بدءاً من ميكانيكي سيارات مروراً بتجليس السيارات ودهانها، وانتهاءً ببيع الخضار والفواكه، ثم سائقاً على سيارة باص صغيرة لنقل العمال، وفي نهاية عام 1995 التحق بأحد أجهزة السلطة برتبة رقيب، ثم كانت **جامعة القدس المفتوحة** هي الخيار الأوحده أمامه للحصول على هذه الفرصة، سيما وأنه كان متزوجاً وله أربعة أولاد، فلم يكن بإمكانه في ذلك الحين التفرغ الكامل للدراسة والجمع ما بين متطلبات الأسرة وأعبائها والوظيفة والدراسة، فالتحق بالقدس المفتوحة عام 1996 وتخصص في الخدمة الاجتماعية حيث تخرج منها بتقدير جيد جداً عام 2000، وفي السنة نفسها التحق بجامعة القدس لدراسة الماجستير في تخصص الإرشاد النفسي والتربوي، وتخرج عام 2003 بتقدير جيد جداً، وفي العام نفسه حصل على قبول لدراسة الدكتوراه في الإرشاد النفسي والتربوي من جامعة العلوم والتكنولوجيا في السودان، وفي هذه الفترة احتضنته «المفتوحة» مشرفاً متفرغاً، وفي أثناء عمله حصل على الدكتوراه عام 2007.

وأخيراً نذكر من هذه الفئة المناضلة الأسير المحرر **حازم صبحي ذوقان** التي تمثل حكايته قصة كفاح تكلفت بتوليه منصب رئيس قسم شؤون الطلبة في فرع نابلس التعليمي. فحازم من مواليد نابلس 1965 متزوج وأب لـ 6 أبناء، كان قد اعتقل عام 1983 وحكم عليه بالاحتلال سبع سنوات ليحصل على الثانوية العامة داخل السجن، والتحق حازم ب**جامعة القدس المفتوحة** عام 1991 كطالب وموظف في آن واحد، وحصل على درجة البكالوريوس في تخصص التربية الابتدائية، بعد ذلك ترقى حازم ليصبح رئيس قسم شؤون الطلبة وما زال على رأس عمله.

ومن الفئات الأخرى التي تحرص الجامعة على احتضانها مستندة على قاعدة أن التعليم المفتوح وسيلة مهمة من وسائل التنمية في المجتمع من خلال تنمية أفرادهم وتوفير فرص التعليم الجامعي لمن أعاقتهم ظروفهم الاقتصادية والاجتماعية من الالتحاق بالجامعات النظامية، نجد شريحة كبار السن قد التحقت بالجامعة بهدف كسب المزيد من المهارات والخبرات والمعارف التي تمكنها من المساهمة في بناء المجتمع ورفقيه، تحقيقاً لمبادئ التنمية التي تنادي بأهمية

توسيع القدرات البشرية والانتفاع بها وزيادة المعارف والمهارات لدى جميع شرائح المجتمع، لتكوين ما يسمى رأس المال البشري. ومن الأمثلة التي نطرحها للدلالة على هذه الشريحة المهمة من شرائح المجتمع، نذكر الدارس « محمود ابراهيم ملحم » الذي حقق أعلى المعدلات رغم انقطاعه عن الدراسة عشرين عاماً. ومحمود هذا ليس دارساً استثنائياً، لكنه سطر بجهوده وإرادته ودعم الجامعة له قصة نجاح صنعت منه أنموذجاً للإصرار والتحدي على إكمال التعليم. فهذا هو يواصل رحلة العلم بسعيه للحصول على درجة الدكتوراه بعد أن كان دارساً متميزاً، حيث حصل على ثاني أعلى معدل تراكمي في تاريخ الجامعة (96.61%). وحول سبب التحاقه بجامعة القدس المفتوحة، يقول ملحم: « سبب التحاقني بالجامعة كان الحصار الغاشم على مدينة قلقيلية واشتداده عام 2001، حيث أصبح لدي وقت فراغ لم أجد وسيلة أفضل من القراءة والدراسة لملئه، ولم أجد سوى جامعة القدس المفتوحة ملاذاً لطموحاتي، لا سيما أنه قد مر على إنهائي مرحلة الثانوية العامة نحو عشرين عاماً. ويؤكد بأن جامعة القدس المفتوحة أدت دوراً كبيراً في الارتقاء بمستواه الأكاديمي قائلاً « لولا فضل الله، ثم جامعتي الحبيبة، لما كنت أنا الآن في جامعة القاهرة أكمل دراستي للحصول على شهادة الدكتوراه، بينما تتكفل «القدس المفتوحة» بتدريسي دون مقابل حيث كنت أحصل على منحة التفوق كل فصل دراسي». وكان محمود قد حصل على ماجستير إدارة الأعمال من جامعة النجاح، وعمل مشرفاً غير متفرغ في القدس المفتوحة عام 2007. كما عمل سكرتيراً لمدرسة قلقيلية الثانوية الصناعية، وهو عضو لجنة التطوير الإداري في محافظة قلقيلية منذ 2007م.

وقصة محمود تشبه في مضمونها قصة دارس آخر اسمه أحمد نوفل الذي رغم انقطاعه عن الدراسة لأكثر من عشرين عاماً أيضاً لأسباب خارجة عن إرادته، يُعدُّ مثلاً ورمزاً لظاهرتين بارزتين؛ أولاهما: الطالب الذي أمضى عشرات السنين من أجل الحصول على شهادة الثانوية العامة قبل أن يلتحق بالجامعة، وثانيهما: اتساع صدر جامعة القدس المفتوحة وإتاحتها الفرصة لمن أراد أن يواصل تعليمه. وكان نوفل قد اعتقل لمدة 5 سنوات في السجون الإسرائيلية، وتمكن من الحصول على شهادة الثانوية العامة بمعدل (95.7) رغم انقطاعه عن الدراسة لأكثر من عشرين عاماً، وكغيره من الطلبة الموظفين التحق نوفل بجامعة القدس المفتوحة منذ العام 2007/2008، وحقق أعلى المعدلات فيها، حيث حقق (96.19).

كما نجد عيسى محمد معالي يختار تخصص التربية الإسلامية ليزال ابنه علاء في دراسته، ويقول الأب الذي يبلغ من العمر 52 عاماً: كانت أمنيته أن أتعلم في الجامعة، ولكن الظروف لم تسنح، فتركت المدرسة بعد الإعدادية، وتقدمت لامتحان التوجيهي سنة 2006، ونجحت في التوجيهي، حيث صممت بعدها على مواصلة التعلم بالرغم من ظروف الصعوبة، فلدي أولاد في السجون الإسرائيلية، وأنا متزوج من امرأتين أتكفل بإعالتهما مع أولادهما.

♦ رابعاً: **تنمية المرأة الفلسطينية:** يعد تعليم المرأة أمراً أساسياً في تنمية المجتمع وتطوره، حيث تمثل المرأة قطاعاً رئيساً له أهميته ومكانته البارزة في المجتمعات كافة، لما لها من دور بارز وطاقات هائلة في الجانب الاجتماعي والتربوي والسياسي والتنموي لكل الدول، فالمرأة نصف المجتمع بل أكثر. ويبرز هنا دور التعليم المفتوح في الإسهام الجاد في تمكين المرأة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، وخلق حالة من الوعي الكامل للمرأة بذاتها وقدراتها وإيمانها المطلق بحقوقها وواجباتها في المجتمع الفلسطيني، الذي يسعى جاهداً لتكريس أعلى درجات الانتماء الأصيل والعمل الجاد المثمر لخلق حالة تنموية فلسطينية، تأخذ بعين الاعتبار مساهمة المرأة جنباً إلى جنب مع نصفها الثاني الرجل في مشروع التنمية الفلسطيني، ويتفق هذا مع ما يطرحه نشوان (1997) الذي يرى أن التحاق المرأة بالتعليم الجامعي المفتوح ييسر لها الدراسة في الوقت الذي تقوم فيه بدورها الاجتماعي بشكل كامل. وإن المتتبع لإحصائيات الجامعة يجد أن نسبة النساء اللواتي يلتحقن بالتعليم المفتوح تشكل ما نسبته (60%) وهي نسبة مرتفعة، حيث زاد إقبال المرأة الفلسطينية على التعلم بعد إنشاء الجامعة بسبب أنظمتها المرنة وأسلوب الدراسة فيها الذي يعتمد على فلسفة التعلم الذاتي، حيث نجد من بين النساء الدارسات في **جامعة القدس المفتوحة** عدداً كبيراً من ربات البيوت والموظفات، لكون هذا النمط من التعليم يتيح لهن المواءمة بين حياتهن الإجتماعية والدراسة، وفي هذا تعميق لدور المرأة في المجتمع، وتأكيد على حق المرأة وواجبها في المشاركة الحقيقية في مشروع التنمية.

ومن الأمثلة على دور **جامعة القدس المفتوحة** في تمكين المرأة الفلسطينية وتنميتها معرفياً استناداً على مبرر واضح يذكره نشوان (1997) وهو أن تعليم المرأة أمر أساسي في تنمية المجتمع وتطوره، وأن التحاقها بالتعليم الجامعي المفتوح ييسر لها الدراسة في الوقت الذي تقوم فيه بدورها الاجتماعي بشكل كامل، وتعرض البوابة الأكاديمية للجامعة (www.qou.edu) قصص نساء فلسطينيات رائدات اخترن "**القدس المفتوحة**" لتكون ملاذهن الآمن. ومن هؤلاء **انتصار عطوة الفرا (51)** عاماً التي تقبلت أن تكون زميلة لابنها محمد على مقاعد الدراسة، رغم كونها أمّاً لعشرة أبناء وتعمل محفظة للقرآن الكريم، وكانت قد التحقت بتخصص التربية الإسلامية عام 2004. وتقول انتصار:

« كانت أمنيتي أن أتعلم في الجامعة، ولكن الظروف (الزواج والأبناء) لم تسمح لي بالتعلم، فتوقفت عن الدراسة، ولم أتمكن من إتمام دراستي في ذلك الوقت».

وكذلك هو الحال مع **هالة محمد هاشم شريم (57)** عاماً التي كرمها الرئيس محمود عباس لإصرارها على الدراسة والتحاقها بالقدس المفتوحة التي تدرس فيها برفقة ولدها (محمد) وحفيدها عبد الفتاح وحفيدتها تمارا. فبعد انقطاع عن الدراسة دام 36 عاماً، وبتشجيع من زوجها، التحقت أم عماد ب**جامعة القدس المفتوحة**، بعد أن تقدمت في العام 2002 إلى

امتحان الثانوية العامة وتمكنت من النجاح، مما أهلها لاستكمال دراستها الجامعية، وتعمل هالة في قسم المرأة والجمعيات في مديرية الشؤون الاجتماعية في محافظة قلقيلية، وهي رئيسة الاتحاد العام للمرأة في المحافظة.

وهناك قصص أخرى تدل على نجاح القدس المفتوحة في تمكين المرأة الفلسطينية معرفياً، مثل قصة أربع شقيقات متفوقات في فرع جنين، استطعن نقش أسمائهن على لوحات الشرف بحروف من ذهب. إنهن كندة وبروانة ومزينة وهوازن زكريا أبو الحوف، دارسات يجتهدن في كل عام دراسي، ويصمن على التميز، ويحلمن دائماً للوصول إلى أعلى مراتب العلم، بما يمكنهن من الاضطلاع بدورهن في مسيرة بناء دعائم الوطن، وهن يؤمن بأهمية العلم باعتباره السلاح الأقدر على إثبات الذات، والمساهمة في خلق أمة متحضرة، تسخر كل الإمكانيات التكنولوجية والعلمية لتحديد معالم مستقبلها. وعن نجاحها تقول كندة بأنها التحقت بالجامعة عام 2007 لتدرس اللغة الانجليزية بسبب حبها للقدس المفتوحة ونظامها المرن الذي تتبعه، بحيث يستطيع الطالب إكمال دراسته دون تحديد زمان أو مكان معين للدراسة، لأن نظام الجامعة لا يتطلب الحضور إلى الجامعة باستمرار. وعلى الرغم من حصولها على 91% في الثانوية العامة، فإنها أثرت الدراسة في «القدس المفتوحة للأسباب آنفة الذكر، فضلاً عن إمكانية إيجاد فرص عمل بعد التخرج. أما شقيقتها مزينة التي التحقت بفرع جنين عام 2008 لتدرس المحاسبة، فتقول بأنها وضعت لنفسها برنامجاً وجدولاً منظماً لكي توازن بين الدراسة وأعمالها المنزلية، بالإضافة إلى الأوقات التي خصصتها للزيارات والمناسبات الاجتماعية. وتضيف بأنها وضعت خطة تمكنها من التحضير الجيد للمقررات التي تدرسها في الجامعة. وتستطرد مزينة قائلة بأن من أهم العوامل التي ساعدتها على التفوق في دراستها ما تتميز به طريقة إعداد المقررات الدراسية التي تنتهجها القدس المفتوحة، والتي تمكن الدارس من استغلال الوقت والجهد للدراسة في المنزل، دون الحاجة للتواجد في الحرم الجامعي، إلا حين الحاجة إلى استيضاح بعض الجوانب الغامضة التي تعترض مسيرته التعليمية.

كما نجد سلوى عبد اللطيف شرف تمثل أنموذجاً حياً للمرأة الفلسطينية المكافحة المبدعة التي تسعى إلى تمكين نفسها، فسلى أول رئيسة قسم للموارد البشرية من الإناث في القدس المفتوحة، وكانت قد تزوجت في السادسة عشر من عمرها، لترزق طفلين في أربع سنوات هما ثمرة زواجها، لتبدأ بعد ذلك قصة كفاح أثمرت نجاحاً في الثانوية العامة - دراسة خاصة. وبعد عشرين سنة، وكان ذلك عام 1996، التحقت سلوى بالقدس المفتوحة، وكان لديها خمسة أبناء، وتعمل موظفة في قسم شؤون الموظفين في مشفى رفيديا الجراحي، كما شغلت منصب عضو في اتحاد مجلس الطلبة في الجامعة، لتتخرج عام 1999 هي وابنها وابنتها اللذان تخرجا في العام نفسه من جامعة النجاح الوطنية. وتقلدت بعد ذلك وظائف عدة إلى أن استقر بها المطاف

في جامعة القدس المفتوحة عام 2001 لتعمل رئيس قسم شؤون الموظفين في فرع نابلس التعليمي. وفي عام 2002 التحقت ببرنامج ماجستير الإدارة التربوية في جامعة النجاح الوطنية، لتتخرج منها في عام 2004.

ولا يختلف الحال عند انتصار جمال شاويش التي صممت على إكمال تعليمها، رغم كونها أمًا لسبعة أبناء أكبرهم في العشرين من عمره، وكانت انتصار قد حصلت على شهادة الدراسة الثانوية العامة بعد عشرين عامًا من الانقطاع عن الدراسة، حيث حصلت على معدل 86.2، مكنها ذلك من الالتحاق بالقدس المفتوحة، لتجسد قصة كفاح قلّ نظيرها، فهي رغم كونها ربة بيت وطالبة، تعمل انتصار على إدارة محل لبيع الملابس لتساعد أسرتها في ظل ظروف اقتصادية صعبة. وتقول انتصار بفخر: «أنا وابنتي وابني ندرس معاً في القدس المفتوحة». وأشارت إلى أن افتتاح فرع للجامعة في طوباس في العام 2000 كان سبباً ودافعاً لإصرارها على مواصلة تعليمها، مؤكدة أن الجامعة وفرت لها فرصة التعليم، فتفوقت وحصلت على معدلات متميزة أهلتها للحصول على منحة في بعض فصول الدراسة. ثم كان لإصرارها على مواصلة التعليم سبباً في جعلها إحدى أبطال فلم «ربيع آخر» الذي أنتجته جامعة القدس المفتوحة، والذي دارت أحداثه حول خمس نساء رائدات يدرسن بالجامعة ويجسدن بصبرهم ومثابرتهم معاناة المرأة الفلسطينية وكبريائها بل وإصرارها على التميز والإبداع رغم كل الظروف والمعوقات.

أما رائدة عمرو التي تبلغ من العمر (38) عاماً والتي تخرجت من فرع دورا التعليمي، فلها حكاية أخرى تظهر دور «القدس المفتوحة» في تنمية المرأة الفلسطينية، فرغم أنها زوجة وأم لعدد من الأبناء من ذوي الاحتياجات الخاصة، استطاعت رائدة التفوق بصورة لافتة في الدراسة، بل تمكنت من تحقيق نتيجة مذهلة في امتحان التوظيف الذي عقدته وزارة التربية والتعليم، بحصولها على 84% مسجلةً بذلك المرتبة الأولى على المديرية الثلاث في محافظة الخليل.

وتقول رائدة أنه ينبغي على الإنسان عدم التذرع بظروف الحياة وقسوتها لتبرير عدم تحقيقه النجاح، كما لا يجوز الاستسلام لعقبات الحياة، فالإنسان هو من يصنع الظروف ويسخرها لصالحه. ونجاح رائدة كما نفهمه لا يتوقف على جمعها بين الدراسة في «القدس المفتوحة» وبين واجباتها المنزلية والزوجية، بل يمتد ليغطي أنشطة وواجبات اجتماعية شتى، فقد كانت تقوم بتدريس مادة التجويد في مسجد مدينتها ومدارسها، وكانت تقدم المساعدة لطلبة المدارس الضعاف من خلال دورات التقوية، مشيرة إلى أن نجاحها لم يكن لولا توفيق الله ودعم زوجها لها. وتضيف: «لم يعقني عن الدراسة أولادي الستة (أربع بنات وولدان)، منهم ابن لديه إعاقة بنسبة 100%. وابنة أخرى لديها عجز بنسبة 100% أيضاً، كما لم يتأثر أولادي الآخرون في دراستهم، بل على العكس من ذلك، ظلوا متفوقين، فابنتي الكبرى التي تدرس في جامعة بولتكناك فلسطين في تخصص الرياضيات التطبيقية متفوقة أيضاً في دراستها».

أما المربية كترين أنور الشوملي فتؤمن بضرورة انخراط المرأة في ميادين العمل كافة، وذلك لمساعدة الرجل في أعباء الحياة المتزايدة، وكانت كترين قد التحقت بجامعة القدس المفتوحة عام 2008 حيث تقول: « لقد ساعدتني مرونة الجامعة وأنظمتها على اختيار المواد وعدد الساعات التي أستطيع اجتيازها بسهولة، بالإضافة إلى طريقة تصميم المقررات الدراسية، فالكتاب يعمل عمل المعلم، فهو يحدثك ويتكلم معك، ويأخذ برأيك ويحاورك ويناقشك، ويساعدك على حل التدريبات.

بينما نجد سناء إبراهيم عليان من بيت لحم، وهي زوجة للشهيد أحمد البلبول الذي رزقت منه ثلاثة أبناء، تدرس اللغة العربية، وتعمل أيضاً موظفة في جمعية رعاية اليتيم. وتقول سناء: «أعمل لأتمكن من تربية أبنائي الصغار، كما أن عملي ودراستي ساعداني كثيراً على اجتياز محنتي التي أصبت بها، فدراستي الجامعية كانت عوناً لي على صقل شخصيتي، لأنها جعلت مني سيّدة قوية واعية بأمور الحياة والعمل، وكانت مشجعاً ودافعاً قوياً لي ولأولادي، فالحياة لم تتوقف بعد استشهاد والدهم، فهم يروني أجمع بين الدراسة والعمل، وأتحمل كثيراً من مسؤوليات الحياة التي أصبحت كلها على عاتقي وحدي».

من جهتها تؤكد سامية أبو حمود - وهي أم وربة بيت، وامرأة عاملة ودارسة في نفس الوقت- أن نظام التعليم المفتوح المتبع في الجامعة يُساعد على تنمية المرأة وتوفير فرصة لإكمال تعليمها ومتابعة عملها في آن واحد، وتشير إلى أنها تؤمن بضرورة أن تتابع المرأة تعليمها الجامعي لتحسين أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية، ولمساعدتها على التكيف مع التغيرات الطارئة والمستجدة من حولها، وكذلك حمايتها من الاستغلال. وتستطرد سامية قائلة: «إن تعليم النساء يعدُّ من أفضل الاستثمارات للمستقبل، وأنجح السبل لتحسين الحياة الاجتماعية، فجهود المجتمعات لن تتكلل بالنجاح إلا من خلال تعليم الأمهات وتحسين أوضاع المرأة بشكل عام». وتشعر سامية بأهمية جامعة القدس المفتوحة، ونظام التعليم المفتوح فيها من منطلق تجربتها الخاصة، فهي التحقت بفرع بيت لحم التعليمي عام 2008، وتواجه سامية تحديات جمة كونها أمّاً وزوجة وموظفة، فتثقل المسؤوليات الأسرية يلقي ظلاله على دراستها، لكن نظام التعليم المفتوح أتاح لها فرصة قلّ نظيرها، لم تكن لتتوافر في أي جامعة أخرى. وتقول سامية: « كثيرة هي المزايا التي توافرت لي في جامعة القدس المفتوحة، وأبرزها استمرارتي في عملي موظفة، وعدم اضطراري إلى الاستقالة والتفرغ للدراسة، لا سيما في ظل التحديات الاقتصادية التي يواجهها المجتمع بشكل عام، فالتحاقق بجامعة القدس المفتوحة منحني فرصة النهوض بمستواي الثقافي والتعليمي والاقتصادي في الوقت ذاته».

أما ابتسام الدهميري التي تعيش في مدينة الله «قدس الأقداس» فتعيل أسرة مكونة من ثلاث طلائع، متحدية الظروف، معانقة أبواب العلم لتجعله طريق أسرتها، فقد التحقت بالقدس

المفتوحة عام 2003 رغم سنوات عمرها التي تجاوزت العقد الرابع بخمس سنين لإتمام مرحلة البكالوريوس، ولتخطى مراحل الدراسات العليا بثقة عالية داعمة مشوار أشبالها نحو النور، وقد زين نجاح الديميري بمنحة «كلنا قادرين» على مستوى الجامعات الفلسطينية، والتي نظمتها المؤسسات الداعمة للمشروع من خلال تقديم سلة التفوق والمليئة بطلبات من المؤسسات الأكاديمية كافة، لتحديد حسب رغبتها الخاصة مكان إكمال منحة الماجستير في الإدارة. وكانت الديميري خريجة فرع القدس التعليمي قد قدمت مشروع التخرج في البكالوريوس تحت عنوان «تقويم جودة الخدمات المصرفية في البنوك العربية في محافظة القدس من وجهة نظر العملاء»، ليتم اختيارها من الفائزين بالمنحة.

بينما لم تكن ايمان قنديل (34 عاماً) تظن أنها ستكمل تعليمها الجامعي بعد أن تزوجت قبل نحو (16) عاماً، لولا القدس المفتوحة التي فتحت أبوابها لها ولغيرها من الطموحين، فبعد حصولها على (التوجيهي) تمكنت من إنهاء دراستها وحصلت على بكالوريوس الخدمة الاجتماعية لتلتحق بالعمل في إحدى المؤسسات الخاصة. وتقول إيمان: «لم أكن أتصور بعد زواجي بأنني سأكمل تعليمي الجامعي، لكن عندما سمعت من أحد أقاربي عن فلسفة التعليم المفتوح التي تعمل بموجبها القدس المفتوحة، قررت التقدم لامتحان التوجيهي، وقد نجحت في ذلك، ثم التحقت بالجامعة، حيث استطعت أن انهي متطلبات التخرج في 6 سنوات». وأشارت ايمان إلى أنه «لولا فلسفة التعليم المفتوح القائمة على عدم الانتظام في حصص صفية طوال فترة الدراسة، والاعتماد على الوسائل التكنولوجية للتواصل بين المعلم والطالب لما تمكنت من إكمال دراستها الجامعية لا سيما أنها أم لثلاثة أبناء يحتاجون كثيراً من الوقت للرعاية».

من هنا نستنتج أنه من خلال توسيع قاعدة النساء الملتحقات بالتعليم الجامعي المفتوح، تزداد الفرص المتاحة لتمكين المرأة وتنميتها معرفياً، مما يساعدها على التكيف مع المتغيرات المحيطة، ومواكبة كل جديد في هذا المجال أو ذاك، إضافة إلى أن نشر التعليم وتوفيره للجميع، وفي مقدمتهم النساء، يعد مطلباً أساسياً لتحقيق عناصر التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، على طريق إحداث تنمية مستدامة، يشارك بها كل أفراد المجتمع رجاله ونساؤه، شبيه وشبان، ويساهم بالتالي في تنمية المجتمع بأسره وضمن استفادته من موارده البشرية بشكل أفضل، لا سيما قطاع النساء في مجتمعنا الفلسطيني الذي يشكل أكثر من نصف المجتمع. ولا يغيب عن أذهاننا أن خلق المجتمع المتعلم يعد مطلباً أساسياً لتحقيق الرفاهة والمشاركة المجتمعية والتنمية المستدامة، إضافة إلى تعظيم إنتاجية الأفراد، وخاصة النساء، وإكسابهن المعرفة والمهارات والاتجاهات اللازمة للعيش في مستوى ثقافي وحضاري واقتصادي متقدم.

♦ خامساً: تتيح جامعة القدس المفتوحة فرصة التعليم الجامعي لأفراد المناطق النائية والمهمشة التي تبعد عن مراكز المدن الكبرى مثل التجمعات السكانية في

القرى النائية والبادية، وهذا يعد رافداً رئيساً من روافد التنمية، إذ يستند على إشراك أفراد المجتمع كافة في أماكن تواجدهم في مشروع التنمية الفلسطينية، ونجد أنّ هذا الهدف يتفق مع ما يطرحه نشوان (1997) الذي يذكر من أهداف التعليم المفتوح أنه يمكن الأفراد في المناطق النائية من الاستفادة من التعليم المفتوح، كما يتفق مع ما يطرحه سعيد (1998) الذي ينظر للتنمية من منطلق تأثيرها على الناس وتأثرهم بها، ليصبح التوجه التنموي منطلقاً من قاعدة الهرم التنموي، أي من الناس ومصالحهم ومشاركتهم واستفادتهم من العملية التنموية.

ومن الأمثلة على استفادة المناطق النائية من تخصصات القدس المفتوحة ما نجده في فرع طوباس التعليمي الذي يعدّ المؤسسة الوحيدة للتعليم العالي في المنطقة، وهو لذلك يقدم خدمة التعليم الجامعي لكثيرٍ من الفئات المهمشة والفقيرة في محافظة مترامية الأطراف، تضم كثيراً من التجمعات الفقيرة والمهمشة بفعل استهدافها من الاحتلال الإسرائيلي، وهو لذلك يقدم فرصة التعليم الجامعي لكثير من الموظفين والعمال والمزارعين في مناطق الأغوار، الذين لم يكن أمامهم فرصة لإكمال دراستهم لولا وجود جامعة القدس المفتوحة في طوباس، كما توفر الجامعة فرصة التعليم الجامعي للمرأة، حيث تبلغ نسبة الإناث من الدراسات في الفرع حوالي 65% من الدارسين. ومن الخدمات التي وفرها فرع طوباس أيضاً، مكتبة لخدمة الدارسين والموظفين، ثم الباحثين والمهتمين من أبناء المحافظة، وبخاصة أن المحافظة تفتقر إلى وجود مكتبة عامة.

من الأمثلة الأخرى على استفادة المناطق النائية من برامج التعليم المفتوح، ما نجده في فرع يطا التعليمي الذي يوفر فرصة للدارسين من الأرياف والبادية لإكمال تعليمهم، فقد افتتح فرع يطا ليخدم خدماته للمنطقة بما فيها من قرى وبلدات، ووصلت خدماته إلى مناطق البدو، تلك المناطق المحرومة التي تعاني من ضنك العيش وقسوته، وتئن تحت بشاعة الاحتلال الإسرائيلي. وكانت هناك صعوبات تواجه من يحلم بالالتحاق بالجامعة، وبخاصة الطالبات، فقلما استطاع الطلاب إكمال تعليمهم العالي، وبخاصة الإناث، إذ إن من عادات البدو الاجتماعية عدم السماح للبنات بالانتقال إلى المدن التي بها الجامعات النظامية لإكمال تعليمهن. وبقي الحال كذلك إلى أن من الله عليهم بافتتاح جامعة القدس المفتوحة في يطا، حيث أشرعت أبوابها إلى تلك الفئة المحرومة من الشعب الفلسطيني، فقلصت المسافات ووفرت التكاليف وذللت العقبات أمام أبناء البادية، ليستطيعوا إكمال تعليمهم الجامعي ذكوراً وإناثاً، فالتحق كم كبير من أبناء البادية بهذه الجامعة، وقد مكّنهم نظام التعليم المفتوح المعمول به في الجامعة، من تجاوز العقبات، لا سيما ما تعلق منها بصعوبة التنقل والظروف المعيشية الصعبة، فضلاً عن مساعدة الجامعة لهم في الأقساط والقروض. ومن هذا المنطلق فقد ساهم فرع يطا التعليمي في تعزيز صمود أبناء البادية على أرضهم هناك.

♦ سادساً: توفر «القدس المفتوحة» فرص المزاجية بين التعلم والعمل الذي يخدم الموظفين على رأس عملهم، وهنا نجد أن من أهداف «القدس المفتوحة» توظيف الكوادر البشرية المؤهلة وتدريبها وتقديم برامج متنوعة للتعليم المستمر مدى الحياة. وتتفق هذه الأهداف تحديداً مع ما يطرحه نشوان (1997) الذي يرى أن التعليم المفتوح يسمح بالجمع بين الدراسة والعمل، لذا نجد بين طلبة الجامعة رجالاً ونساءً لهم وظائفهم وأعمالهم في المجتمع، في الشرطة والبلدية والمجلس القروي وفي مؤسسات المجتمع المدني والمؤسسات غير الحكومية، قد أيقنوا جميعاً أن بإمكانهم المزاجية والتوفيق بين العلم والعمل، فالتحقوا بالقدس المفتوحة لينهلوا من معينها الذي لا ينضب، ما يلزمهم لتطوير قدراتهم وبناء ذاتهم بالطريقة والكيفية التي تؤهلهم لمواكبة التطورات اللاحقة في مجالات العلم والمعرفة، وليكونوا أهلاً للمسؤولية وأكثر استقلالية وامتلأوا للمعارف والمهارات التي يحتاجونها للمشاركة في مشروع تنمية مجتمعهم ووطنهم فلسطين، وكان رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور يونس عمرو قد أشار في مقابلة صحفية إلى وجود 60% من دارسي الجامعة يعملون في وظائفهم، ولا ينتظرون الحصول على الشهادة كوسيلة عيش، بل من باب تطوير الذات. وهنا نخص بالذكر عدداً كبيراً من المعلمين والموظفين - كان آخرهم موظفي وزارة الصحة الفلسطينية الذين التحقوا بدبلوم الإدارة الصحية، قد آثروا جميعاً السير والمضي في طريق العلم والتدريب وهم على رأس أعمالهم، إيماناً منهم بأن طريق العلم لا نهاية له، وأن دينهم وإنسانيتهم يفرضان عليهم اللحاق بكل ما هو جديد ونافع، يستطيعون به خدمة مجتمعهم ووطنهم، وذلك من خلال تحسين الأداء ورفع مستواه. ويتفق هذا التوجه مع ما يشير إليه الرشدان (2005) الذي بدوره نوه إلى أن تنمية الموارد البشرية تعني عملية زيادة المعارف والمهارات والقدرات لدى جميع الناس في المجتمع، وأن تنمية الموارد البشرية هي مفتاح مسيرة العصر. ومن الأمثلة على هؤلاء يوسف اسماعيل الشامسلي، أذن المدرسة الذي أخذت «القدس المفتوحة» بيده فأصبح مدرساً للغة الإنجليزية، ويوسف الذي ناهز الأربعين من عمره يسكن في يطا، وعمل بوظيفة أذن مدرسة لمدة 8 سنوات، قبل أن يصبح معلم لغة إنجليزية، ولم تكنه معوقات الحياة عن السعي وراء حلمه، ولم يقف العمر حائلاً بينه وبين تحقيق طموحه في أن يكون معلماً. ومن هؤلاء أيضاً سميح محمد أبو زاكية - مدير مركز بيت الطفل الفلسطيني الذي يشير إلى أنه تعلم المزج بين التعلم والعمل، فطوال فترة دراسته كان يعمل مديراً لمركز بيت الطفل الفلسطيني، وكان يجد في ذلك حافزاً على تحصيل مميز للعلم.

ولا تكتفي الجامعة بإتاحة الفرصة للحصول على الدرجة الجامعية الأولى لحملة الدبلوم، بل نجدها تحرص على إعداد الكوادر الفنية التي يحتاجها المجتمع ومؤسساته، فعملت من خلال مركز التعليم المستمر وفروعه المنتشرة في كل فروع الجامعة إلى عقد الدورات التدريبية والبرامج التثقيفية التي استهدفت كل شرائح المجتمع وقطاعاته دون استثناء، حيث يهدف هذا المركز الذي

ومتخصصة مثل WINDOWS, ORACLE, ACCESS, WEBSITE والإنترنت والبريد الإلكتروني وبرمجية قواعد البيانات والأوتوكاد وصيانة أجهزة الحاسوب وتركيب وصيانة الشبكات وتصميم صفحات الانترنت والتحليل الإحصائي SPSS، ودورات أخرى في السكرتاريا التنفيذية وإدارة المكاتب ودور الشباب في العملية الانتخابية، ودورات في الإسعاف الأولي وكيفية التعامل مع الأزمات والتنمية والتطوير الإداري، ومهارات الاتصال والتخطيط الاستراتيجي وإدارة المشاريع ودورات حول تدوير المخلفات الصلبة والسائلة.

من خلال هذه الأمثلة وغيرها نجد أن توفير فرص المزاوجة بين التعلم والعمل الذي تنتهجه «القدس المفتوحة» يساهم في إتاحة الفرصة لمن هم على رأس عملهم لمواكبة التطورات المتلاحقة في مجالات المعرفة ولتطوير الكفايات ورفع مستوى الأداء والإنتاج بين العاملين والموظفين في مؤسسات السلطة الوطنية وأجهزتها الأمنية والمدنية، بمعنى أن الدارس يستطيع أن يكون متعلماً ومنتجاً في الوقت نفسه، وفي هذا إسهام واضح في مشروع التنمية المستدامة بجوانبها البشرية والاقتصادية والمعرفية.

♦ سابعاً: تسعى الجامعة إلى تنمية العلاقة مع المجتمع المحلي ومؤسساته وذلك إيماناً منها بأهمية التعاون والتشبيك مع مؤسسات المجتمع الحكومية وغير الحكومية، وتحرص الجامعة على التشبيك مع مؤسسات المجتمع المختلفة وبناء العلاقات معها ومشاركتها في مناسباتها وفعاليتها. وهذا الحرص يتفق مع ما يطرحه أبو كريشة (2003) الذي يرى بأن التنمية يجب أن تحيط بجوانب الحياة كافة على اختلاف صورها وأشكالها، ولا تختص بجانب واحد من جوانب حياة المجتمع، وأن الجهود الأصلية تعدّ عاملاً أساسياً في عملية التنمية، حين تؤدي القيادات الشعبية دوراً مؤثراً في التنمية. من هذا المنطلق تحرص الجامعة على تنفيذ الورش والمشاريع المشتركة مع جهات عدة مثل مديريات التربية والتعليم والتوجيه السياسي والأجهزة الأمنية وموظفي المؤسسات المدنية، فتعقد العديد من الدورات لضباط وأفراد هذه الأجهزة في ضوء احتياجاتهم التدريبية، إضافة إلى تقديم العديد من الاستشارات وتنظيم العديد من الندوات والدورات داخل الجامعة وخارجها التي تستهدف الطلبة وغير الطلبة. ومن الأمثلة على التعاون مع مؤسسات المجتمع، نجد أن الجامعة بادرت إلى إنشاء ناد للعلوم الإدارية والاقتصادية ليضم عدداً من طلبة الجامعة وخريجها في برنامج العلوم الإدارية والاقتصادية، إيماناً منها بدور الشراكة المجتمعية مع قطاعات ومؤسسات المجتمع المحلي، بهدف صقل المهارات العلمية والعملية، ليس فقط من أجل الحصول على فرصة عمل في مؤسسات المجتمع المحلي، وإنما لتمكين الخريجين من إدارة مشروعاتهم الخاصة أيضاً، لما لهذه المشروعات من أهمية في تحقيق التنمية المستدامة.

ومن الأمثلة على ذلك نجد مجلس الطلبة وقسم شؤون الطلبة والعلاقات العامة في فرع يطا قد نظموا بالتعاون مع إدارة مكافحة المخدرات في الخليل ندوة علمية حول المخدرات وآثارها، بينما نظمت ورشة عمل أخرى حول تفعيل دور طلبة الخدمة الاجتماعية في مؤسسات المجتمع المحلي، بمشاركة ممثلي بعض المؤسسات المجتمعية الفاعلة.

كما نجد مركز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICTC) يعقد دورات تدريبية في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في أنظمة أوراكل في فرع رام الله التعليمي، ومايكروسوفت في فرع طوباس التعليمي، ودورة إنتاج الأفلام الثلاثية الأبعاد في فرع قليلية، ودورة الشهادة الدولية للحوسبة والإنترنت IC3 في فرع جنين، حيث بلغ عدد الملتحقين في هذه البرامج ما يزيد عن 60 متدرباً ومتدربة من طلبة الجامعة وموظفيها والمجتمع المحلي. ويأتي تنظيم هذه الدورات انسجاماً مع الخطة الإستراتيجية التي يعتمدها مركز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ICTC، والدور الريادي الذي يقوم به في المساهمة بإعداد جيل واعد من الشباب المدرب والمؤهل، وكذلك رفد مؤسسات المجتمع بالكفاءات المدربة المتميزة، تلبية للطلب المتزايد على هذه النخبة المتخصصة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصالات.

كما نجد أن قسم التدريب في مركز تكنولوجيا المعلومات والاتصالات يصدر سلسلة كتب في التعليم المستمر وتضم:

Microsoft Office Word 2003 , Microsoft Excel 2003, Microsoft Access 2003, Microsoft PowerPoint 2003, Outlook 2003, Microsoft Office Project 2003, Microsoft Windows XP التي يراد منها تنمية قدرات الطلبة وأفراد المجتمع المحلي في مجال الاتصالات والبرامج الحاسوبية وغيرها.

ونجد أيضاً أن الجامعة- ومن خلال مركز التعليم المفتوح- تطلق المرحلة الخامسة من البرنامج التدريبي «مهارات استخدام تقنية الصفوف الافتراضية وتوظيفها في العملية التعليمية» برعاية مجموعة الاتصالات الفلسطينية، حيث استهدف البرنامج 200 موظف في جميع فروع الجامعة، وجاءت هذه المرحلة بعد استكمال المراحل الأربع الأولى التي استهدفت 196 موظفاً. وسعت الجامعة من خلال هذا البرنامج التدريبي إلى تأهيل موظفي الجامعة ضمن برامج التطوير المهني المستمر، للوصول إلى جامعة إلكترونية بحلول عام 2012، وهذا أيضاً نموذج رائد للتعاون والتشبيك مع مؤسسات المجتمع المحلي.

من جهة أخرى نجد مركز التعليم المستمر وخدمة المجتمع يختتم دورات تدريبية متخصصة، استهدفت عدداً من طلاب الجامعة وأفراد المجتمع المحلي في دورتين متخصصتين، وهما دورة الترجمة الفورية ودورة برنامج شامل المحاسبي، حيث تأتي هذه الدورات لتلبي حاجات المجتمع المحلي وتطلعاته لتأهيل كوادر مجتمعية مدربة قادرة على البناء والتنمية.

كما نجد المركز ذاته يختتم دورة متخصصة في برنامج تحليل الرزم الاحصائية SPSS لموظفي وزارة الصحة في مختلف فروع الضفة الغربية. وكان مركز التعليم المستمر قد أنهى في العام 2009 دورات تدريبية لمؤسسات المجتمع المحلي واستشارات لمؤسسات المجتمع المدني وعلى رأسها الاتحاد العام لنقابات عمال فلسطين، والنقابات الفرعية التابعة للاتحاد في مدينة رام الله والبيرة، واتحاد مراكز الشباب، واشتملت على دورة التخطيط الاستراتيجي للصحة والسلامة المهنية ودورة التخطيط الاستراتيجي للصحة والسلامة المهنية لنقابة الغزل والنسيج، و دورة التخطيط الاستراتيجي للصحة والسلامة المهنية لنقابة الزراعة والصناعات الغذائية، ودورة في مهارات كتابة المشاريع وجذب التمويل لإتحاد مراكز الشباب في المخيمات الفلسطينية. كما نفذ مركز التعليم المستمر قد نفذ ما يزيد عن 46 دورة في الفترة من 2008/10/1 إلى 2009/6/1، حيث اشتملت هذه الدورات على العناوين الآتية: الترجمة وبرنامج EXCEL والرخصة الدولية لقياده الحاسوب ICDL والطباعة وصيانة الحاسوب الشخصي واللغة الانجليزية بمستوياتها وتدريب المدربين TOT وكتابة المشاريع وتجديد الأموال واللغة العبرية واللغة الفرنسية وتصميم مواقع الانترنت وبرنامج شامل المحاسبي.

ومن الأشكال الأخرى التي تحرص الجامعة على تبنيها للتشبيك مع مؤسسات المجتمع المحلي، تنظيم الأعمال التطوعية بالتعاون مع العديد من المؤسسات المحلية، ومنها نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما تقوم به مجالس الطلبة والأطر الطلابية بالتنسيق مع دائرة شؤون الطلبة والعلاقات العامة من مساعدة المزارعين في موسم قطف الزيتون، وذلك انطلاقاً من المسؤولية الاجتماعية والرسالة السامية التي تحملها الجامعة تجاه المجتمع المحلي بأطيافه ومؤسساته كافة، والتي تهدف إلى نشر ثقافة العمل التطوعي البناء والهادف وتعزيزه بين فئات المجتمع المختلفة، حيث نفذت هذه الأعمال التطوعية في فرع يطا وفي بيت لحم بالتعاون مع حركة التحرير الوطني الفلسطيني فتح، لمساعدة المزارعين في قطف ثمار الزيتون في بيت جالا في الأراضي الواقعة بمحاذاة جدار الفصل العنصري، وكذلك في فرع أريحا التعليمي لقطف ثمار الزيتون في أراضٍ قرب سطح مرحبا في مدينة البيرة قرب مستوطنة بسخوت. كما نجد فرع طوباس التعليمي يشارك بيوم عمل تطوعي لقطف ثمار الزيتون في قرية الفارعة، بمشاركة وزير الزراعة ومحافظ طوباس ومؤسسات وفعاليات محافظة طوباس كافة، ونجد كذلك مجموعة من دارسي فرع جنين يشاركون بحملة قطف ثمار الزيتون التي نظمتها وزارة الزراعة بالتعاون مع عدد من المؤسسات الوطنية والمحلية في قرية نزلة الشيخ زيد الواقعة قرب جدار الفصل العنصري، وكذلك الأمر في فرع دورا التعليمي، حيث شارك في اليوم التطوعي أكثر من ثلاثين دارساً وموظف، وقد شاركهم أيضاً في ذلك اليوم القائم بأعمال المحافظ في الخليل ورئيس بلدية دورا ومدير الزراعة في دورا وأمين سر حركة فتح، ومدير أوقاف دورا، ومدير صحة الجنوب وأمين سر منطقة دورا.

كما نجد الدفاع المدني يفتتح دورة متطوعين للدفاع المدني في فرع دورا استمرت شهرين، بينما يشارك طلبة فرع طولكرم التعليمي بالحملة التي أطلقتها الشبيبة الفتاوية «وصيتكم هاالأرض» الخاصة بقطف ثمار الزيتون، وشملت الحملة أراضي جامعة خضوري، وبلدتي شويكة وعتيل الواقعتين بالقرب من الجدار المقام على أراضي البلديتين.

ومن أجل المساهمة في خدمة المجتمع المحلي وتطويره، نجد فرع رام الله التعليمي ينفذ مجموعة من النشاطات التطوعية بالتعاون مع مؤسسة إنجاز فلسطين، منها عمل طبي مجاني لفحص الدم والتبرع بالدم لصالح مرضى التلاسيميا، بتمويل من اتحاد مجموعة شركات التأمين ومركز أبوقراط لمرض التلاسيميا، وكذلك تنظيم زيارة إلى دار المسنين وتنظيم يوم ترفيهي لهم. كما نظمت فرع رام الله يوماً ترفيهياً لمرضى التلاسيميا، شارك فيه 30 طفلاً مريضاً من محافظة رام الله والبيرة مصابين بالمرض، وتم تنظيم يوم تطوعي للمساعدة في ترميم خمسة بيوت فقيرة في مخيم قلنديا. كما نجد صورة أخرى من صور التشبيك والتعاون مع مؤسسات المجتمع المحلي تتمثل في عقد الندوات والمحاضرات وتبادل الزيارات بين فروع ومؤسسات المجتمع المختلفة، فنجد مثلاً فرع سلفيت ينظم زيارة ميدانية علمية لمؤسسة الأمل للرعاية الاجتماعية بمشاركة دارسي التدريب الميداني 1، 2، 3، وينظم بالتعاون مع جمعية مردة الخيرية للتنمية وتمويل من المؤسسة الألمانية للتنمية DED ورشة تدريبية حول كتابة المشاريع والتقارير، استهدفت الخريجين وطلاب مستوى سنة رابعة في تخصصي العلوم الإدارية والاقتصادية واللغة الانجليزية، وفي الوقت ذاته ينظم احتفالاً لتوزيع شهادات دورات تدريبية عقدت في الفرع بالتعاون مع المؤسسة الألمانية للتنمية DED وجمعية مردة الخيرية للتنمية، حيث تضمنت الدورات أربعة مجالات هي: الإرشاد المهني وبرنامج المحاسبة الشامل وصيانة الحاسوب والسكرتاريا التنفيذية، وهدفت إلى تزويد الخريجين بالخبرات والمهارات المناسبة وتوفير فرص العمل من خلال أيام التوظيف التي تعقدها الجامعة بالتعاون مع المؤسسات الفلسطينية العاملة في سوق العمل الفلسطيني. كما نجد فرع دورا التعليمي يختتم بالتعاون مع وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين "الأونروا" دورة حول تنمية وتعزيز القدرات. بينما ينظم فرع أريحا ورشة عمل بمناسبة يوم المعاق العالمي بالتعاون وبمشاركة المؤسسات الفاعلة في ميدان العمل مع الأشخاص ذوي الإعاقة، ومنها مكتب الشؤون الاجتماعية وجمعية الهلال الأحمر ومدرسة سيرا السويدية الخاصة والاتحاد العام للمعوقين، ومديرية التربية والتعليم. وينظم ورشة أخرى بالتنسيق مع الغرفة التجارية حول إدارة المشاريع الصغيرة، مستهدفة دارسي تخصص العلوم الإدارية والاقتصادية، لتعميق التواصل مع مؤسسات المجتمع المحلي، وورشة ثالثة بالتعاون مع جمعية مركز الطفل حول « العنف المبني على النوع الاجتماعي». ونجد فرع أريحا أيضاً يعقد بالتعاون مع شركة (Lion Heart) دورة تدريبية تحت عنوان: "عش الحياة من أجل أن تكون القائد" بهدف مساعدة الخريجين على تنمية

قدراتهم العلمية والمهنية، حيث اشتملت الدورة على مواضيع عدة منها: كيف تغير حياتك وتحديد الأهداف لحياتك وكيف ضع الخطة لأهدافك، وكيف تكتب CV وأين تذهب لتجد وظيفة وماذا تقول وتفعل بالمقابلة.

وعلى صعيد الندوات نجد فرع جنين ينظم ندوة اقتصادية بعنوان "الأزمة المالية العالمية"، "شارك فيها مدير البنك الإسلامي العربي ومدير معرض "جوال" ومدير عام الغرفة التجارية. بينما يعقد فرع قلقيلية لقاءً مفتوحاً بعنوان "الأثار الاجتماعية للاستيطان" حضره محافظ قلقيلية ومشرفي تخصص الخدمة الاجتماعية طلبة تدريب ميداني (4) ونائب مدير التوجيه السياسي والوطني وممثل الهيئة المستقلة لحقوق الإنسان. كما نجد الفرع يحيي اليوم العالمي للمعوق، ويشارك في مسيرة نظمتها جمعية اتحاد المعوقين بالتعاون مع فرع قلقيلية التعليمي وبعض مؤسسات المحافظة، ويشارك أيضاً في إحياء يوم الفقر العالمي من خلال تنظيم زيارة ميدانية إلى مديرية الشؤون الاجتماعية، وفي الوقت ذاته يستقبل الفرع وفد جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني. أما فرع نابلس التعليمي فينظم وبالتعاون مع مركز إعلام حقوق الإنسان والديمقراطية- شمس- ورشة "المسؤولية المجتمعية"، استهدفت طلبة الخدمة المجتمعية في الجامعة، بينما ينظم فرع طوباس ندوة حول دور الأخصائي الاجتماعي في مؤسسات الخدمة الاجتماعية، وذلك بالتعاون مع مديرية صحة طوباس والشؤون الاجتماعية، ويتعاون مع وزارة الثقافة فينظم مسابقة ثقافية بعنوان: "رحلة بين دفتي كتاب"، حيث بلغ عدد الطلبة المشاركين فيها (20) مشاركاً ومشاركة من مختلف التخصصات. ونجد الفرع ينظم بالتعاون مع مركز الديمقراطية وحل النزاعات ورشة عمل حول ظاهرة العنف الأسري، ويفتتح الفرع أيضاً مع مركز الشهيد صلاح خلف دورة في مجال القيادات الشابة لطلبة الجامعة. كما نجد فرع أريحا يعقد بالتنسيق مع مديرية الشرطة ندوة حول مخاطر وسلبيات المخدرات.

وفي قطاع غزة نجد فرع الوسطى التعليمي بالتعاون مع جمعية تنظيم الأسرة ينظم يوماً مفتوحاً بمناسبة اليوم العالمي «لللايدن»، وينظم بالتعاون مع جمعية بنك الدم المركزية يوماً تطوعياً للتبرع بالدم، كما نجد أن قسم شؤون الطلبة والعلاقات العامة بفرع شمال غزة ومجلس اتحاد الطلبة فيه، ينظمون بالتعاون مع جمعية بنك الدم المركزي ومؤسسة مرلين يوماً تطوعياً للتبرع بالدم. وفي السياق ذاته ينظم فرع خان يونس بالتعاون مع جمعية بنك الدم المركزي والتنسيق مع مجلس اتحاد الطلبة حملة للتبرع بالدم. ثم نجد وفداً من جمعية «تنظيم الأسرة الفلسطينية» يزور فرع الوسطى التعليمي لتعميق الروابط والتعاون بين المؤسسات والتنسيق لأنشطة مختلفة، بينما نجد الفرع وانسجاماً مع رؤية الجامعة بضرورة تعزيز مجالات التعاون والتشبيك مع مؤسسات المجتمع المحلي ينظم زيارات ميدانية إلى عدد من المؤسسات، حيث كانت الزيارة الأولى إلى برنامج غزة للصحة النفسية، والثانية إلى جمعية تأهيل المعوقين

في دير البلح، والثالثة إلى إذاعة الجمعية، وهي إذاعة فرسان الإرادة، ثم إلى مدرسة دير البلح الابتدائية المشتركة (ب). كما نجد فرع خان يونس التعليمي، ينظم سلسلة من الزيارات لعدد من مؤسسات المجتمع المحلي، وذلك ضمن الخطة التي وضعتها الجامعة بهدف التنسيق والتشبيك مع المؤسسات المحلية لرعاية ودعم عدد من الفعاليات والمنشآت التي تسعى إدارة الفرع إلى إقامتها، قام وفد من الفرع بزيارة لشركة مصانع العودة والمجلس العلمي للدعوة وزيارة أخرى لشركة «جوال» بغزة.

وفي سياق آخر نجد فرع غزة التعليمية وبالتعاون مع مركز شؤون المرأة، ينظم ورشة «المرأة والإعلام» ضمن مشروع بناء القدرات بهدف تفعيل دور المرأة وتثقيفها لتمكين النساء وتعزيز وعيهن بحقوقهن. كما نجده ينظم ندوة بعنوان: «إعداد معلمي اللغة الإنجليزية لتدريس ذوي الاحتياجات الخاصة». ثم نقرأ أن فرع خان يونس بالتعاون مع جمعية الإغاثة يعقد ندوة علمية حول مرض الإيدز.

مما سبق نستنتج أن مثل هذا التعاون والتنسيق والتشبيك بين الجامعة ومؤسسات المجتمع المختلفة، يسهم بدرجة كبيرة في توحيد الجهود وتنظيم العمل، بما يساعد على تحقيق التنمية المستدامة في فلسطين، ويتفق هذا مع ما أشار إليه سعيد (1998) حين نظر للتنمية من منطلق تأثيرها على الناس وتأثرهم بها، ليكون التوجه التنموي منطلقاً من قاعدة الهرم التنموي، أي من الناس ومصالحهم ومن مشاركتهم واستفادتهم من العملية التنموية. كما تتفق هذه الأنشطة والفعاليات مع تعريف الرشدان (2005) للتنمية البشرية، حين أشار إلى أن تنمية الموارد البشرية تعني زيادة المعارف والمهارات والقدرات لدى جميع الناس في المجتمع.

♦ ثامناً: تسعى الجامعة إلى تقديم برامج وتخصصات دراسية مصممة لتلبية الاحتياجات الوطنية العامة على مستوى فلسطين وسوق العمل فيه، بل تمتد إلى الوطن العربي أيضاً، حتى لا يؤدي توسيع قاعدة التعليم العالي إلى تفاقم أوضاع البطالة في أوساط حملة الدرجة الجامعية الأولى. وعليه تسعى الجامعة إلى تقديم الخدمات التعليمية والتدريبية وفق فلسفة التعليم المفتوح، ثم تخريج كوادر علمية مؤهلة فكرياً ومهنيًا، تلبي متطلبات سوق العمل واحتياجاته. وهذا أيضاً يتفق مع ما يسميه عبود محو الأمية المهنية، حين يكون ذلك هدفاً أساسياً من أهداف التربية بوصفها حياة أو إعداداً للحياة، أو الاثنتين معاً، ويعني أن على التربية أن تطور أهدافها لتكون في جانب منها محواً للأمية المهنية لدى جميع المواطنين من جهة أولى، والاهتمام بالعلوم والتكنولوجيا، من جهة أخرى.

وتمنح جامعة القدس المفتوحة حالياً الدرجة الجامعية الأولى في ستة تخصصات اختيرت وفق مبادئ أساسية هي:

1. أن يجسد التخصص العلوم والمعارف والفنون والمهارات اللازمة ليكون الخريج محيطاً بجميع أبعاد الواقع الذي يمثله التخصص، ومدركاً لما يحمله ذلك الواقع من إمكانات تربوية.

2. أن ينطلق التخصص من الممارسات والعادات والتقاليد الأصيلة والثابتة ، وأن يبين كيفية تحريك هذا الواقع نحو الأفضل في ضوء ما توصل اليه العلم وما بينته التجارب العربية والعالمية.

3. أن يكون مرناً ومفتوحاً لما سيكشفه التطبيق في مجالات التعليم والتدريب ، وفي مجالات توظيفهما في التنمية.

إضافة إلى ذلك تمنح الجامعة درجة الدبلوم في التأهيل التربوي الذي يهدف إلى تأهيل المعلمين من حملة الدرجة الجامعية الأولى تأهيلاً تربوياً لمختلف التخصصات التي تدرس في المرحلة الأساسية.

ومن الأسس التي اختيرت عليها هذه التخصصات، لا سيما برنامج التنمية الاجتماعية والأسرية الذي يشمل تخصص التنمية الاجتماعية في مجالين هما: تنمية المجتمع المحلي والخدمة الاجتماعية، وتخصص التنمية الأسرية في مجالات التعليم النسوي والأشغال اليدوية والصناعات المنزلية ورعاية الطفل، يتبين لنا أن جامعة القدس المفتوحة قد أخذت على عاتقها مهمة زيادة فرص التعليم العالي في فلسطين، وربطه باحتياجات الشعب الفلسطيني المرابط، وأن مفهوم التنمية يعد من أولويات هذه الجامعة الفلسطينية الرائدة التي اختارت أن تكون رائدة في استخدام هذا النمط من التعليم الذي يأخذ بعين الاعتبار الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية لهذا الشعب الذي عانى- وما زال يعاني- شتى صنوف البطش والتنكيل والحرمان من أبسط الحقوق الإنسانية ومنها حقه في التعليم وحرية التنقل.

♦ **تاسعا: الإسهام في الحد من نزوح الطلبة إلى خارج الوطن من أجل التحصيل العلمي، وهذا الهدف يساهم أيضا في تخفيف هجرة العقول والكفاءات، بل يساهم في استقطابها.** فمن المعروف أن حلم متابعة التعليم الجامعي وعدم توافر الفرص والإمكانيات الكافية محليا، يضطر بعض الطلبة للالتحاق بالجامعات الأجنبية، ويفتح مجالاً لعدم عودة كثير منهم إلى وطنهم بعد تخرجهم، كما يساهم هذا الهدف في الحفاظ على الأموال الفلسطينية وعدم ضخها للخارج ، حيث يوفر هذا ملايين الدولارات سنوياً، وهنا تكون الجامعة بمثابة صمام أمان للاقتصاد الوطني، وبخاصة حين نتحدث عن وجود أكثر من 66 ألف دارس ودارسة ملتحقين في الجامعة، حالت الجامعة دون سفر نصف هؤلاء الطلاب للخارج، ما يعني أن الجامعة توفر ملايين الدولارات على الطلبة وأهاليهم ، فضلاً عن دورها في تثبيت الطلاب فوق أرض الوطن، وهذه مهمة وطنية تمكنت الجامعة من تحقيقها. وفوق هذا توفر الجامعة موقعاً تعليمياً قريباً من مكان سكن الطالب، وبالتالي يتمكن الطالب من توفير كثير من المصاريف مثل السكن والمواصلات والاتصالات التي تشكل النفقات الرئيسة للطلاب الجامعي، فمعروف أن القسط الدراسي لا يشكل أكثر من 20% من المصروف العام للطلاب الذي يضطر إلى السكن في موقع الجامعة التي يدرس

فيها. كما تعمل الجامعة على تقديم مساعدات تمس شرائح خاصة مثل منح لأبناء الشهداء، ومنحة الأسرى التي يقدمها برنامج تأهيل الأسرى كمنحة خارجية، بينما تقدم الجامعة جزءاً آخر لعدد كبير من الأسرى الذين التحقوا بالجامعة، وهناك منحة ذوي الاحتياجات الخاصة، حيث تقدم 44 منحة فصلية لهؤلاء. وليس هذا فقط، فبقية الحالات المحتاجة تؤخذ بعين الاعتبار في صندوق الطالب المحتاج ومنحة المتفوقين التي تشمل التخصصات كافة، وهي تغطي 100% من رسوم الطالب الجامعية.

كما تغطي الجامعة منحاً أخرى مثل: منحة الأخوة والأزواج، وهي من أضخم المنح من حيث الموازنة، وتعطى للأخوة غير المتزوجين داخل الموقع التعليمي الواحد بنسبة 50% من الرسوم، وأيضاً الأزواج غير العاملين. وهناك بعض المقاعد خاصة بأعضاء مجلس الأمناء ومجلس الجامعة، بالإضافة إلى أبناء الموظفين والعاملين في الجامعة. وكل هذه المنح والمساعدات تسهم في تثبيت المواطن الفلسطيني فوق أرضه ليتعلم ويبني قدراته ويصقل خبراته فيغدو إنساناً نافعاً صالحاً، يسهم في مشروع التنمية المستدامة وبناء الاقتصاد الوطني.

كما لا ننسى دور الجامعة في توفير فرص عمل لألاف الأسر الفلسطينية التي يعمل معيلوها في وظائف مختلفة في الجامعة، ويصل عدد الإداريين العاملين في الجامعة إلى 700 موظف، والأساتذة المتفرغين يصل إلى 650 أستاذاً، في حين هناك ما يزيد عن 1500 مشرف غير متفرغ، وهم جميعاً يسهمون في تمكين التنمية الاقتصادية، ويحركون عجلة الاقتصاد الوطني دون أدنى شك.

من هنا نتساءل ألا يساهم هذا كله في تدعيم عناصر التنمية المستدامة وأهمها التنمية الاقتصادية والبشرية؟

◆ **عاشراً: الإسهام في تكوين شخصية عربية ذات ثقافة تربوية متجانسة، وذلك عن طريق توحيد المفاهيم العلمية والثقافية.** فبالنسبة لهذا الهدف يمكن القول إننا كفلسطينيين أولاً وكعرب ثانياً، بحاجة للحفاظ على هويتنا الثقافية والحضارية أمام هذا الزحف الهائل المتمثل في ثورة المعلومات وغزرتها التي يشهدها هذا القرن الموسوم بالعولمة والعالمية، والذي ينظر إليه بعض الناس كما لو كان غولاً مفترساً يحاول أن يفترس القوميات والثقافات الأخرى، لا سيما الضعيفة منها، وهذا يحتم على مؤسساتنا التعليمية جميعها، وليس الجامعية فقط، التحلي بالمسؤولية للعمل يداً واحدة لنبذ هذا التشرذم والانقسام الثقافي والخروج بخطاب ثقافي واحد موحد، قادر على إعداد إنسان عربي يستطيع بهويته وثقافته المتجددة الوقوف بثبات ومسؤولية أمام مد العولمة، والذي يرى بعضهم أنه استعماراً ثقافي جديد يهدف إلى إقصاء المنافس وقمعه، وإحلال الثقافة البديلة محل الثقافات القائمة، بل سلب إرادته الآخرين وطمس هويتهم.

من هنا فإن هذا الهدف يتخذ أهمية بالغة في هذا الوقت بالذات، لكونه يؤسس لثقافة شاملة تستهدف فئات المجتمع كلها، لتزويد الإنسان الفلسطيني بما يحتاجه من علم ومعرفة، ما يواجهون به الخطر القادم من جهة أولى، ومن جهة ثانية يمكنهم من الاضطلاع بمسؤولياتهم في هذا العالم الذي أصبح صغيراً كقرية متصلة الجوانب بفضل التقدم التكنولوجي وسهولة انتقال الابتكارات والمعلومات وحتى الثقافات في أرجاء المعمورة.

ولتحقيق هذا الهدف نجد «القدس المفتوحة» تصدر دليل المسؤولية المجتمعية وتوزعه على الجامعات المحلية والعربية، بينما يعمد برنامج البحث العلمي والدراسات العليا إلى إصدار كتاب «التراث الشعبي الفلسطيني / هوية وانتماء»، وينظم تحت رعاية وزيرة الثقافة ومحافظ سلفيت يوم التراث الفلسطيني. كما نشرت عمادة البحث العلمي والدراسات العليا مؤخراً خمسة عشر كتاباً منها: هوية القدس وانتماؤها التاريخي بين التأصيل والتحريف، من تأليف الأستاذ الدكتور يونس عمرو/ رئيس الجامعة والأستاذ الدكتور حسن السلواي/ عميد البحث العلمي والدراسات العليا، وكتاب القيادات التربوية ومتطلبات تأهيلها لمواجهة مستجدات العصر، للكاتب الدكتور عبد عطا حمائل، وكتاب سجل محكمة القدس الشرعية رقم 155، للدكتور ابراهيم ربايعه، وكتاب التشريع الإسلامي في الحفاظ على البيئة للدكتور محمد شلش، وكتاب إتحاف الصديق بخلاصة آل الصديق، للأستاذ الدكتور حسن السلواي.

هذه الكتب وغيرها من المؤلفات، تسهم في التأسيس لثقافة عربية فلسطينية لها دورها الفاعل في إحداث تنمية بشرية أصيلة، قادرة على الصمود والثبات أمام الثقافة الأخرى الوافدة من الغرب.

♦ **حادي عشر: الإسهام في نوعية التعليم باستثمار الوسائط التقنية الحديثة المتنوعة،** حيث يستطيع المتعلم أن يوظف معارفه ومهاراته كافة في استخدام التكنولوجيا لحل المشكلات التعليمية والحياتية، والتفكير بطرق تعليمية إبداعية، تساعد على إتقان الأهداف الأدائية المحددة، فتزداد ثقة المتعلمين بأنفسهم، وترتفع دافعية التحصيل والإنجاز لديهم، فتزداد بذلك فرص مساهمتهم في بناء مجتمعهم وتنميته. ولتحقيق هذا الهدف نجد الجامعة قد أنجزت خلال السنوات الماضية برنامج تسجيل عبر الانترنت لـ 66 ألف دارس ودارسة، وتدير أكبر شبكة إنترنت في فلسطين وبنك الأسئلة الأول من نوعه في فلسطين والوطن العربي، بالتعاون مع دائرة القياس والتقويم، وأسست دائرةً للجودة التي تعمل على تقويم جميع العمليات التي تتم وفق معايير جودة أعدت لهذا الغرض، كما يعمل مركز التعليم المفتوح مع مركز تكنولوجيا المعلومات وقسم الإنتاج التابع له بهدف إنتاج المقررات الإلكترونية بالتعاون المطلق مع الدائرة الأكاديمية ومع الأكاديميين كل حسب اختصاصه. وهناك خطة لتحويل 50% من مقررات الجامعة إلى مدمجة إلكترونية خلال السنوات الثلاث المقبلة، كما وضعت الجامعة خطة تدريبية للمشرفين الأكاديميين والدارسين لتدريبهم وتأهيلهم بالتعاون مع هذا اللون من التعليم». وضمن فلسفتها

القائمة على تطوير نوعية التعليم وتقنياته المختلفة التي تتماشى مع نمط التعليم المفتوح ، عمدت الجامعة إلى توظيف تقنيات مختلفة لتدريس عدد كبير من المقررات الدراسية منها ما يدرس وفق تقنية الفيديو ستريمج والقالب الإلكتروني وأخرى وفق نظام إدارة التعلم «المودل» والصفوف الافتراضية.

خاتمة:

نستنتج مما سبق نقاشه من أهداف جامعة القدس المفتوحة وما نتج عنها من أنشطة وفعاليات في كافة فروع ومراكز الجامعة ، أن هذه الجامعة الرائدة بفلسفتها وأنظمتها المتميزة، تسهم بشكل كبير في تحقيق التنمية البشرية والمستدامة في فلسطين، وذلك حين تركز على تنمية الإنسان الفلسطيني، رجالاً ونساءً، شبيهاً وشباناً، ومدعم بالمعارف والمهارات اللازمة لتمكينه معرفياً ومهنياً، وكذلك حين تضع الجامعة ضمن أهدافها تحديث وسائل التعليم وتقنياته وأساليبه، وحين تسعى إلى بناء شخصية فلسطينية عربية تعزز بثقافتها وجذورها الأصيلة ، وتواكب التطور العلمي والتكنولوجي، من خلال تخصصات ومقررات دراسية مصممة لهذا الغرض، ولا ننسى هنا تركيز الجامعة على جعل التعليم الجامعي مفتوحاً ومرناً للجميع ممن حالت ظروفهم دون إكمال تحصيلهم العلمي لسبب أو آخر.

توصيات واقتراحات:

1. أن تعمل جامعة القدس المفتوحة بالتنسيق والتعاون مع الجامعات الفلسطينية على تلبية احتياجات مجتمعنا الفلسطيني، وفق رؤى التحديث والتطور، حتى يتسلح المواطن الفلسطيني بالثقافة القادرة على الصمود أمام الثقافات البديلة ، وهذا يتطلب من جامعاتنا مزيداً من التفاعل مع المجتمع، من خلال التواصل مع مؤسسات المجتمع وقياداته وخبراته، والاستفادة من الإمكانيات المتوفرة لإحداث التنمية الشاملة المستدامة.
2. أن تستمر الجامعة في توظيف الموارد والمصادر المتاحة بما يحقق الفائدة لتطوير العملية التعليمية، وتحديث أساليب التعليم والتعلم، واستخدام التقنيات الحديثة التي تدعم الإبداع وتشجع البحث العلمي، وفق سياسات وخطط مرتبطة بخطط التنمية المجتمعية المستدامة.
3. أن تعمل الجامعة على رعاية المبدعين من العاملين والطلبة وتحفيزهم بوسائل مختلفة، حتى يساهموا بفعالية أكبر في مشروع التنمية الفلسطيني بخصوصيته المعروفة.
4. وأخيراً، أن تعمل جامعة القدس المفتوحة على إتاحة الفرص لخدمة المجتمع الفلسطيني، بحيث يحتسب للطالب ساعات معتمدة مقابل أي خبرة عملية أو خدمة يقدمها للمجتمع المحلي، وهنا يكون دور جامعة القدس المفتوحة أشمل بسبب تواجد فروع تعليمية للجامعة في المدن والتجمعات الفلسطينية كافة، ومنها الريفية، فتزداد بذلك إمكانيات الجامعة للوصول لكافة فئات المجتمع المحلي.

المصادر والمراجع:

أولاً- المراجع العربية:

1. أبو كريشة، عبد الرحيم تمام. (2003). دراسات في علم اجتماع التنمية. المكتب الجامعي الحديث: الإسكندرية.
2. تعليم حر، نشرة من اصدار مركز رام الله لدراسات حقوق الانسان)، العدد الثاني، آب، 2004
3. الجملان، معين حلمي: التعليم عن بعد ودوره في دعم مؤسسات التعليم العالي في العالم العربي: توجهات مستقبلية، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد 33، ص ص-301 300
4. الخطيب، أحمد (2006). الجامعات الافتراضية: نماذج حديثة، عالم الكتب الحديث، اربد
5. الرشدان، عبد الله زاهي (2005). التربية والتنمية. دار البشير، عمان
6. ريحان، رمزي (1998). إشكاليات مفهوم التنمية البشرية المستدامة في فلسطين ومقاييسها. في برنامج دراسات التنمية (1998). التنمية البشرية في فلسطين. جامعة بيرزيت: رام الله / فلسطين
7. سعيد، نادر عزت. (1998). التنمية البشرية بين التجارب الدولية والقطرية والتوجهات الفلسطينية. في برنامج دراسات التنمية (1998). التنمية البشرية في فلسطين. جامعة بيرزيت: رام الله / فلسطين
8. السليطي، حمد علي. (2002). التعليم والتنمية البشرية في دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية: دراسة تحليلية. العدد 71، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية. أبو ظبي.
9. السنبل، عبد العزيز: مبررات الأخذ بنظام التعليم عن بعد في الوطن العربي، فضاءات للتعليم عن بعد، العدد الثاني، ص 9
10. عبد اللطيف، رشاد أحمد (2002). أساليب التخطيط للتنمية. الإسكندرية: المكتبة الجامعية
11. عبود، عبد الغني. (1992). في التربية المستمرة ومحو الأمية وتعليم الكبار. الطبعة الأولى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
12. عطية، عبد القادر محمد (2003). اتجاهات حديثة في التنمية. الدار الجامعية: الإسكندرية
13. نشوان، يعقوب (1997): التربية في الوطن العربي في مشارف القرن الواحد والعشرين ، غزة ،

14. نشوان ، يعقوب (2000) : التعليم عن بعد والتعليم الجامعي المفتوح ، جامعة القدس المفتوحة ، القدس

15. نصر الله ، تيسير (2000) : اتجاهات المشرفين الأكاديميين نحو برنامج التعليم المفتوح في مناطق جامعة القدس المفتوحة ومراكزها في فلسطين. رسالة ماجستير. فلسطين ، جامعة النجاح الوطنية ، 2000.

ثانياً - المراجع الأجنبية:

1. Rowntree, Derek, "Exploring Open and Distance Learning ", Kogan Page Limited London.
2. <http://www.beeaty.tv/new/index.php>
3. <http://www.3deed.com/vb/showthread.php?t=42098>